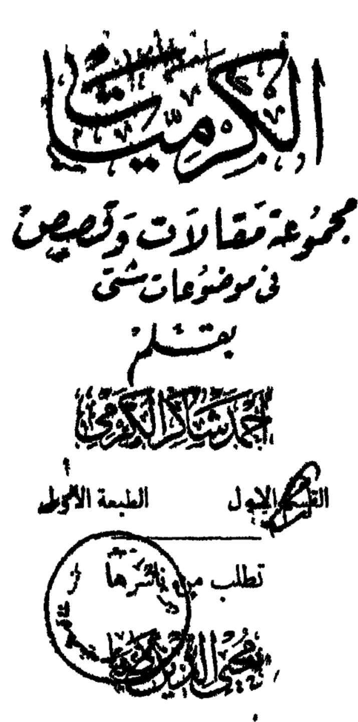


الكرميات

مجموعة مقالات وقصص

في موضوعات شتى

بقلم

أحمد شاكر الكرمي

القسم الأول — الطبعة الأولى

تطلب من ناشرها

محيي الدين رضا

صاحب مكتبة السعادة

بأول شارع درب الجماميز من جهة باب الخلق بمصر

جمادى الثانية سنة ١٣٣٩ هـ = مارس (آذار) سنة ١٩٢١ م

داخلہ نمبر	۳۲۷۲۸
فن نمبر	و ۲
کتاب نمبر	۱۸۵ع

مجموعة مقالات وقصص
في موضوعات شتى

بقلم

أحمد شاكر الكرمي

القسم الاول — الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة

تطلب من ناشرها

محيي الدين رضا

بمطبعة المنار بمصر القديمة

ى الثانية سنة ١٣٣٩ هـ = مارس (آذار) سنة ١٩٢١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لابد لى من كتابة كلمة أقدم بها هذه التحفة الادبية للقراء لانى ولوع بالادب محب للنشر جيده من وقت أن أحسست بفقرنا الى أمثال هذه الكتب.

كثيراً ما سألنى الناس عن كتب أدبية تصلح لان تقدم لابنائهم وبناتهم فيكون لهم لذة بقراءتها وفائدة باسلوبها تدفعانهم الى حب الاستزادة والاسترسال والتعمق في خوض بحار العلم والادب.

والآن وأنا أقدم لهم أول ثمرة شهيــة من الثمار الكرمية فانما أحمل بيدى هذه المباحث الادبية المشربة بالمبادىء الاجتماعية الراقية وأقدمها لرجال الادب ومحبي الجديد لتكون بمثابة جواب على أسئلتهم وليحملوها الى أبنائهم وبناتهم بعد أن يدققوا النظر فيها وفي أساليبها.

هذه التحفة ترمى الى أغراض ثلاثة :—

(١) ترقية اللغة الكتابية، ويظهر ذلك جليـا من أسلوبها الذ[illegible] . [illegible] يميل الى السهولة وا[illegible]انة فقد طارد كاتبها الاساليب

القديمة مطاردة قوية فلم يقف موقف من نضب معين فكره من معنى جديد وأعيته سليقته عن الاساليب المذبة فاخذ يستعرض معاجم اللغة ويجر ألفاظها جرا عنيفاً ليودعها في صحفه . فكاتبنا « الكرمى » من أدق الكتاب في أساليبه وله ذوق سليم يرافقه دائماً فيكسو المعاني أثوابا شفافة محببة .

(٢) التهذيب الاخلاقي فقد علم صاحب الكرميات أن النفوس أصبحت مقفرة من المكارم نفورة عن الفضائل تعشقت الشرور وركبت لها كل مركبة فابرزلنا في كرمياته حقائق لو اتبعها الناس لاستراحوا وأراحوا وانصرفوا الى الخير فهذبوا أنفسهم وذراريهم وبذلك تصلح الاحوال وتتحقق السعادة المنشودة .

(٣) ان هذه الدنيا ما هى الا مسرح تعرض عليه الاعمال كما هى والناس يتلقفون منها ما يرونه ذا صلة بنفوسهم يلائمها أتم ملائمة فالذى يتقن عمله اتقاناً تاما هو الذى ينظر اليه بعين العناية والرعاية ويقوم الناس له بواجب الاجلال والاحترام . ومن هذه النظرة يتبين لنا أنه لا يرى ما طالما تغنى به مدعو الانتساب الى الآداب وفنونها بقولهم ان حظ الاديب أن يعيش معسراً فقيراً لان حرفة الادب حرفة سيئة ، فالكرمى يصيح بالادباء أرونى أديباً يستحق أن يطلق عليه هذا الاسم بمعناه الحقيقى لازمه سوء الطالع فارداه في مهاوي الخمول والاهمال .

وهانحن أولاء قد بدأنا نرى النفوس اليوم أخذت تميز الخبيث من الطيب فتحل الاديب الذى تراه يفيض عليها بثمار الآداب

مقدمة الناشر

النافذة، زوايا وتهافتت على اقتناء آثاره تهافتاً يملأ نفسه رغبة في زيادة خدمته لها وجودة على نفعها وصلاحها .

ولنا عظيم الامل أن شباب هذه الامة المباركة سيسرون من هذه التحفة سروراً يدعونا لاصدار أخواتها حتى تتجلى أمامهم عبقرية الكرمي ويحسوا بالروح القوية التي تدفعه الى العمل والدخول في ميدان الادب بنشاط وهمة يعضده ما أدخره من وفرة البضاعة ويحدوه الشباب الى الاندفاع حتى يصل الى درجة عظام الادباء .

هذا أقل ما أراه حقيقاً أن يقال في هذا المعرض — وكنت أريد أن أعرف الادباء بشخصية الكرمي الذي عكف على القراءة والكتابة فذاعت آدابه في مصر وسوريا وأميركا، فلعمر الحق ما كان ينشر له كلمة حتى نرى الصحف تتناقلها في هذه الاقطار الثلاثة بينا نراه هادئاً ساكناً لا يسمح بكتابة اسمه على المقالات ويكفيه أن يرمز باحدى الامضاءات الكثيرة التي كان يتستر وراءها دائماً وهو شاعر رقيق غير أنه يكره القيود كرهاً شديداً وله عدة قصائد ربما ننشر شيئاً منها فيما بعد، وكنت أريد أن أفيض القول في عبقريته لولا الحاحه الشديد علي بان لا أتعرض لاطرائه ولذلك اكتفيت بهذه الكلمة وفي النفس ما فيها ....

محيي الدين رضا

اهداء الكتاب

ما الملك العظيم في سلطانه ،

والظالم المستبد بين حراسه وأعوانه ،

والغني الكبير بين خوله وغلمانه ،

الا مظاهر باطلة من مظاهر الحياة .

وقد درج الناس منذ القدم على أن يحرقوا

ذكا [illegible] رآ أمام [illegible] الثلاث ؛

أما أنا، فان لي طريقاً آخر أسير فيه.

لا أهدي كتابي للملوك والظلام لانني

أبغضهم ،

ولا أقدمه للاغنياء والمثرين

لانني أحتقرهم ،

ولكنني أرفعه لك يامحيي الدين ،

ياصديقي العزيز ،

ليكون ذكرى لصداقتنا الوثيقة ،

واعترافاً بأدبك وفضلك.

أحمد شاكر الكرمي

المقدمة

الفكر البشري خاضع لنواميس الطبيعة ، جار على سنن الكائنات الحية ، فهو ينمو كما تنمو، ويرتقي كما ترتقي اذا لقي عناية ورعاية، كما أنه ينحط ويتأخر مثلما تنحط وتتأخر اذا مني بالاهمال وليس أدل على حياة الفكر واستعداده للارتقاء من تغير أحكامه على المسائل التي يتغير نظر الفكر اليها كلما ارتقى وتقدم ، ولا أدل على تجرده وتأخره من بقائه على حالة واحدة لا تغيير لها ولا تبديل .

وهذا عصر ارتقى فيه الفكر البشرى ارتقاء عظيماً ، ووصل الى درجة لم يكن يحلم بها السلف الاقدمون، وذلك بفضل رواج سوق العلم وسهولة تحصيله ، ونضوج كثير من العلوم النافعة . حتى لقد أصبح صبيان المدارس يعرفون من الحقائق مالم يكن يعرفه أجدادهم الاولون ويعلمون من شئون الكون ماقصر عن الاحاطة به شيوخ الزمن القديم .

وان من المصائب بعد هذا أن نرى السواد الاعظم منا لا يزالون يعضون على القديم بالنواجذ ، ويرون أن الخروج عنه رزءا عظيما ، ولا يعلمون أنهم يسيرون بعملهم هـذا الى الموت الاكيد من حيث لايشعرون.

انهم يعدون التمسك بالقديم والثبات عليـه فرضاً من الفروض ، ويعتبرون تركه والميل عنه جريمة لا تغتفر، ونحن معهم في ذلك، مالم يكن في هجر القديم مصلحة للفرد وللمجموع فان هجره حينذاك يكون أمرا لازماً لايحتمل التردد ولا التأجيل ، فضلا عن أنه يعد دليلا على الرقى والتقدم والرغبة في الحياة .

ان من الجنون المطبق أن نسابق سيارات هذا العصر وطياراته بجمال أجدادنا وحمرهم وبغالهم كما أن من العبث المحض أن نرجو الوصول الى ما وصل اليه أهل هذه المدنية الفخمة بتضحية الكثير من قديمهم من غير أن نضحي شيئاً من قديمنا .

ان لكل عصر روحا خاصة لها مجرى تسلكه ، فاذا كنا

نريد أن نعيش حقاً فيجب أن نلائم بين سلوكنا في الحياة وبين روح العصر الذى نعيش فيه، ولقد عرف أجدادنا الاقدمون ضرورة السير على مقتضى روح العصر فكانت مدنياتهم التى رفعوا قواعدها وشادوا بنيانها فى دمشق وبغداد ومصر والاندلس مختلفة متباينة حتى في عناصرها الاصلية، وذلك لان العصور التي قامت فيها تلك المدنيات كانت مختلفة لكل عصر منها روح خاصة تخالف روح العصر الآخر، فقد استطاعوا بفضل مرونتهم وبعدهم عن الجمود أن يعيشوا دهراً طويلاً .

أما نحن — حرسنا الله — فاننا لا نريد أن نعترف بروح العصر ولا أن نخضع لنواميسها ، وها نحن أولاء لا نزال نداوي مرضانا بـ [illegible] الانطاكي والشيخ السيوطى فى عصر باستور وارليخ وسواهم. ولا نزال نملأ ادمغتنا بخرافة الثور الذى يحمل الارض والحوت الذي يبتلع القمر فيسبب الخسوف وما أشبه ذلك من الاوهام في زمن العلم والنور ، ولا نزال عاكفين على قصص بنى هلال وعلى الزيبق وذات الهمة في أيام جبران خليل جبران وأرنولد بنت وديايس

وأناطول فرانس ودونونزيو وغيرهم. ومع هذا كله فاننا نأمل أن نعيش ونرجوا أن نتقدم!

***

هذا واني آمل أن أكون قد سرت مع روح العصر في الموضوعات التي خضتها في هذا الكتيب الذي جمعت فيه مقالات قليلة كتبتها في أزمان مختلفة وضمنتها ما كنت أعتقده في المسائل التي طرقت بابها ، وقد حملني على جمعها وإثباتها من غير أن أدخل عليها تغييرا يذكر خصوصا في الاغراض الجوهرية أمران :

الامر الاول حبي لاثبات التطورات التي قطعت مراحلها في حياتي العقلية والادبية ، فانه كما يكون لذكري الحوادث والاحوال التي مرت بالمرء في أيام حياته - سواء أكانت بؤساً أم نعيما - قيمة لديه وقدر، فان تذكري المراحل الفكرية التي اجتازها الانسان في ماضي أيامه قيمة قد تكون اعظم لديه واجل .

اما الامر الثاني فهو رغبتي في وضع هذه المقالات بين

المقدمة

يدي اخوانى الشبان المتعطشة نفوسهم للحرية والصراحة ، لاليستفيدوا منها حكمة وعلماً، بل لتكون لهم مشجعاً على الجهر بما يرونه صوابا مع العمل به، فاذا كانوا على صواب نالهم أجران ، واذا التوى عليهم القصد أصابهم أجر واحد .

وسوف اخرج بقية أجزاء هذه المجموعة — اذا ساعدنى الحظ والفراغ — حاوية كثيراً من المقالات والموضوعات المفيدة من موضوع ومترجم، حتى أؤدى الى الامة والادب الخدمة التى فى طوقى اداؤها ، والتى أرجو ان تنفع وتفيد والسلام؟

احمد شاكر الكرمي

دمشق في ربيع الاول سنة ١٣٣٩ . نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٠

حظ الادباء[1]

شاعت بين ادباء العرب عقيدة أن الادب حرفة سيئة الحظ قليلة الخير وانها محرمة من الرزق مجلبة للفاقة والفقر، وقد جاءت الاشارة الى هذه العقيدة في كثير من أشعارهم وبلغ بهم اليقين بصدقها الى درجة أنهم لم يجدوا سبيلا يعللون به نكبة عبد الله بن المعتز الا قولهم «ادركته حرفة الادب» ولا يبعد أن يكون ماورد فى الشعر وغيره من حرمان أهل الادب أثراً من آثار ملل بعض الادباء من تكاليف الحياة كالذى يشعر به أغلب الناس الا أن الشعراء والادباء استطاعوا بفضل صناعتهم أن يصوغوه في أشعارهم ويبرزوه للناس بطرق كثيرة حتى وصل الينا فيما وصل من آثارهم، ويغلب على ظننا أن الاعتقاد بسوء حظ الادباء لايخلو من مبالغة، وأنه حديث الوجود بين الناس، فأن المأثور عن أهل الادب في أيام

(١) نشرت هذه المقالة فى احدى الصحف المصرية بتوقيع (قدامة)

الامويين والعباسيين أنه كان لهم مقام سام ومنزلة رفيعة عند الخلفاء والامراء والولاة، وكانوا ذوى احترام وهيبة، وكانت العطايا والهبات التي تصل اليهم تكفل لهم العيش الرغيد والحياة السعيدة كل ذلك بفضل صناعتهم وأدبهم، وليس من المعقول بعد هذا أن يكون التشاؤم من تلك الصناعة معروفاً في تلك الازمان ولكنه على مايظهر قد حدث بعد ذلك عند ما انخفض شأن اللغة العربية وضعف امرها ، وتغلب على اهلها الاعاجم فكسد سوق الادب وركدت ريحه وأمسي الادباء منبوذين لايقام لهم وزن ، ولا يعرف لهم قدر لدى الملوك والحكام فضاقت بهم الحال وصاروا يندبون سوء حظهم ويشكون حرمانهم وينسبون ماهم فيه الى شؤم صناعتهم ثم تابعهم فى ذلك كل بائس من الادباء وكل مملق من الشعراء حتى اشتهر الامر ولصقت بالادب تلك التهمة الشنيعة .

ولم ينج الادب العصرى من ظهور هذه الخرافة فى آثار رجاله بشكل مبالغ فيه مما دلنا على أن كلمة (أديب) عند كثير من الناس فى هذه الايام غدت رمزا للبؤس والشقاء

وسوء الحال والمتربة، وقد رأينا بعض مؤلفي الروايات التمثيلية المصرية يعمدون الى الاديب فيصورونه في رواياتهم تصويراً مضحكا ينم عن عقيدة الناس فيه ، وشاهدنا شاعراً في احدي الروايات يبرز للانظار بهيئة مزرية بشمة وملابس رثة وشكل قبيح يدل على فرط الاهمال ، وهو يمثل في كلامه وحركاته الثقل المادى والمعنوى ويخرج من بين فكيه الفاظاً كقطع الصخور ، الا أن مثل هذه الصور ليست مطابقة للواقع من كل الوجوه ، لاننا قلما رأينا من الادباء والشعراء المعاصرين من يشبه تلك الصورة الشوهاء مع ان فيهم الغني والمتوسط والفقير

ثم ان هناك اناساً من غير اهل الادب حشروا انفسهم في زمرة الادباء وحسبوا انفسهم شعراء وكتابا بعد مقالة كتبوها أو قصيدة فاسدة نظموها ظانين ان الادب مرتقى سهل ، فلم يلبثوا قليلا حتى انصرفت عنهم الوجوه واغلقت دونهم الابواب ولازمهم الفشل فظنوا ذلك من ذنوب الادب الذي انتحلوه، وانفجر بركان غيظهم على تلك الحرفة المشئومة — حرفة الادب — ولو عقلوا لعلموا أن الذنب في ذلك

ذنبهم وأن فشلهم راجع الى قصورهم الشخصي وعجزهم عن الوصول بالادب الى المرتبة التي تكفل لصاحبها العيش السعيد والحياة الطيبة.

يقول كثير من الساخطين أن قراء العربية قليلون وان قلتهم هي سبب كساد سوق الادب وشقاء رجاله، ونحن لا ننكر قلة القراء عندنا ، ولكننا لا نرى قلتهم تسبب مثل ذلك الامر لرجل قدير من رجال الادب يعرف مشارب القراء ورغائبهم وأذواقهم فيقدم لهم مايشتهون من ثمار أدبه . ان قلة قراء العربية لا تسبب بوار كل مايؤلف ويكتب فى تلك اللغة ولكنها تدعو الى تحديد مايقبل ويروج من الآثار، وذلك التحديد يراعى فيه بالطبع تقديم النافع الصالح على سواه، فمن كانت مؤلفاته من غير النافع الصالح فلا يلومن الا نفسه عند ماتلاقى بوارا .

ان مثل القراء والمؤلفين كمثل التاجر وعملائه يطلبون منه مايوافقهم ويلائم أذواقهم فاذا وجدوه عنده أخذوه، واذا لم يجدوه قصدوا سواه ، فان كان هو عارفا بما يروق لهم من

الانواع ثم أحضرها لهم راجت تجارته وفاز بالغُنم ، وان لم يكن يعرف شيئاً من ذلك وأحضر لهم أشياء لا تروقهم أعرضوا عن معاملته وتركوه فريسة للافلاس.

الف جبران خليل جبران رواية (الاجنحة المتكسرة) فتخاطفها القراء حتى أتوا على آخر نسخة منها، وعرب حافظ ابراهيم قسما من البؤساء فنفذت طبعاته عدة مرات فى زمن يسير، وترجم المنفلوطي رواية (ماجدولين) فنفقت نسخ الطبعة الاولى في بضعة أشهر وأعيد طبعها ثانية وثالثة ، كل هذه الحوادث ادلة على أن قراء العربية لا يقصرون في مساعدة المؤلفين وترويج آثارهم متى كانت نافعة مفيدة .

هذا ما يقال عن الادباء بوجه عام ، أما الشعراء خاصة فاننا لا ننكر أن أكثرهم يلاقون من القراء اعراضاً ونفوراً ويرون منهم نبوة وتباعداً ، ولكن الذنب في ذلك ذنبهم لأنهم قد اتخذوا الشعر شبكة يصطادون بها وجعلوه سلسلة من المدائح يطوقون بها عنق فلان وفلان ، وليس من حق الامة أن تعنى بشباكهم وسلاسلهم لانه لافائدة لها منها . ولو ان

أولئك الشعراء جعلوا شعرهم معرضاً لمـا يهم الامة من الموضوعات، ولما تشعر به وتحس لما لاقت أشعارهم الا الاقبال والرواج والخلاصة أن الادب بانواعه لايخضع لشؤم ولااليمن وان الخائب فيه انما يخيب لتقصيره والفائز انمـا يفوز بسبب مقدرته ونبوغه ، أما ماعدا هذا فخرافات وأوهام .

القاهرة : جمادى الاولي سنة ١٣٣٨. يناير (ك٢) سنة ١٩٢٠

المطالعة الفنية [1]

لتعلم العلم وسائل كثيرة، أهمها السماع وأشباهها المطالعة.
أما السماع وهو التلقي عن الاساتذة والمعلمين فهو مشهور معلوم وطرقه كثيرة معروفة الا أن فوائده لا توازي فوائد المطالعة ولا تضاهيها، فان نظام التعليم في كل المدارس نظام ضيق لو اقتصر عليه مخرجو المدارس ولم يتجاوزوا ما هو معين فيه لكانوا أخسر صفقة من كثير من الجاهلين. ونحن لا نريد بقولنا هذا انكار فضل المدارس ولا هضم حقها، ولكننا نريد أن نبين أن التعليم المدرسي وسيلة لا غاية وأن المطالعة والبحث هما عماد النبوغ وبلوغ أرقى درجات الكمال العلمي.

نقول هذا ونحن نعتقد أن كثيرا من الناس عندنا ينظرون الى المطالعة نظرة ازدراء واستخفاف، ويعدونها من أبسط الامور التي لا تحتاج الى بحث ولا تستحق أن تكتب في شأنها المقالات، وما ذلك الا لأن تلك الكلمة عندهم لا تدل الا على مجرد القراءة البسيطة الساذجة فهي على رأيهم لا تحتاج

---

(١) نشرت في احدى الصحف المصرية بتوقيع (قدامة)

الاَّ لمعرفة حروف الهجاء وكيفية النطق بها ليس غير. وهؤلاء معذورون في رأيهم مادام هذا مبلغ علمهم، ومادامو يجهلون ان المطالعة هي فوق مايتصورون، وانه لو أتيح لهم معرفة أصولها وطرق الاستفادة منها لكانوا أرجح أحلاما وأكثر علماً، ولما كانوا يغضون من قدرها ويبخسونها حقها.

وهانحن أولاء نبين للناس شروط المطالعة الفنية التي هي من خير الطرق لنشر العلم، معتمدين على أحدث الآراء العلمية، وعلى ماشهدناه وثبت لدينا بالدرس والتجربة، عسى أن يستفيد من الاطلاع عليها من اعتاد المطالعة الساذجة العقيمة وان يعتادها الناشئون الذين لا يزالون في بدء حياتهم العلمية.

للمطالعة شرطان وواجبان — وليغفر لنا الادباء استعمال اصطلاحات الفقهاء هذه المرة — اما شرطها الاول فاستعداد المطالع الشخصي لقبول الآراء الناضجة وقد قال أحد حكمائنا القدماء [راجع الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٣٠]: «ان الكتب لا تحيي الموتى ولا تحول الاحمق عاقلا ولا البليد ذكيا. ولكن الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفي».

أما الشرط الثاني فهو انتخاب النافع من الكتب وهذه عقدة من العقد لم يتفق العلمـاء على حلها ولن يتفقوا ، فأنهم مازالوا ولن يزالوا مختلفين فى تقدير قيمة كل كتاب ونفعه، ولا يزال فريق منهم يرى أنه لا يوجد كتاب يخلو من فائدة ولكن هذا رأى لا ينبغى أن يصغي اليه الشباب المتعطشون للعلم الذين يريدون زادا عاجلا يبلغهم الغاية التى يقصدونها فان هؤلاء في حاجة الى الكتب المحققة النفع ووقتهم لا يتسع للتجارب والاختبارات، وان خير ما يعملونه ويعمله سواهم أيضاً هو اتباع رأى أكثرية أهل العلم في اختيار الكتب النافعة فى العلوم التي يميلون لدرسها .

هذان هما الشرطان اللذان يجب استكمالهما قبل المطالعة. واما الواجبان اللذان هما عمادا المطالعة وركناها فأولهما تحديد العمل وتعيينه ثم التفرد له واتمامه وذلك كان يعزم طالب التاريخ على درس حادثة خاصة أو قسم معين فينقطع لدرسه فى مظانه حتى يتمه. أو كان يرغب طالب الادب في درس شعر المتنبي أو ابن الرومي مثلا فيعكف عليه حتى يفرغ منه فان هذه الطريقة

تعين حدود العمل وتساعد على الاختصاص والتبحر.

أما الواجب الثاني — وهو أهم من كل ماسلف — فهو أن يفكر المطالع فيما يقرأ بقدر مايقرأ ، فان مجرد القراءة لا يكفي للاستفادة ، وقد قال الفيلسوف الانكليزى (أرنولد بنت) عن الذين يقرأون من غير تفكير: انهم أدمنوا القراءة كما أدمن بعض الناس السكر ، وانهم يجولون فى ارض الآداب على سيارات (اتومبيلات) وغرضهم الوحيد هو مجرد الحركة، انهم سيخبرونك كم قرأوا من الكتب في ظرف عام، إلا أن من لم يهب على الاقل نصف الوقت الذى يخصصه للمطالعة ليفكر فيما قرأه تفكيرا عميقا متعبا — ويظهر هذا في بدء الامر أنه تكليف مخيف — فان كل مطالعة تضيع سدى .

هذه هي شروط المطالعة الفنية وواجباتها وهى كما يرى القارئ ليست مستحيلة ولا هينة فمن أراد ان يهذب عقله ويوسع دائرة فكره ويزيد في مادة علمه فعليه ان يتبع احكامها ونحن نبشره سلفاً بكل فوز وفلاح .

القاهرة : جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ . فبراير (ش) سنة ١٩٢٠

الآداب العربية وفن الانتقاد [1]

النقد فن ذوقي جليل يهذب الآداب وينقيها ، ويصلح مافسد من أساليب القول وطرق التعبير ، كما أنه يهدى الى حسنات الكتاب والشعراء وبدائعهم لينسج على منوالهم من يأتي بعدهم ، ويرشد الى مواطن أغلاطهم وأماكن ضعفهم ليتجنبها مقلدوهم والسائرون على أثرهم وقد عرف الغربيون قدر هذا الفن وأدركوا عظيم فائدته ونفعه للآداب فتصدى له أشهر كتابهم ونوابغ أدبائهم، فلم يتركوا ثمرة من ثمار حقل الادب الا ذاقوا طعمها وأعطوها حقها من الوصف ، ولم يدعوا فى آثار الاقلام ضعفاً ظاهراً أو خفياً ولا معنى واضحا أو مبهما ولا تعبيراً رشيقاً ولا جملة بارعة الا أرشدوا الى ذلك كله ونوهوا به، ومازال هذا شأنهم حتى اعتزت دولة الأدب عندهم وأشرق شمسها ووصلت فى الجمال والبهاء الى الحالة التي نراها اليوم

---

(١) نشرت فى احدى الصحف المصرية بتوقيع (قدامة)

أما نحن ، فاذا كان تقدم الآداب الغربية وعلو شأنها هو ثمرة عناية ائمة الادب بالنقد، فان تقهقر آدابنا وانحطاطها والفوضي التي تسري فيها هي ولاريب ثمرة اهمالنا هذا الفن أو استخدامنا له استخداما ناقصاً ، وليس هذا ناشئا عن عدم وجود اعلام يتقنون هذا الفن ، ورجال يوفونه حقه ، فان لدينا من هؤلاء من يسد الحاجة، ولكنه آت من امور اخرى أهمها القصور في فهم حقيقة الانتقاد عند الجمهور وجبن الادباء وخوفهم .

انظر إلى رجال النهضة الادبية الحاضرة التي أعادت للغيورين على الآداب شيئا من الامل فانك ترى اكثرهم عاكفين على الملق والمداهنة ، لاهم لاحدهم الا امتداح كتاب صديقه فلان وتقريظ قصيدة زميله فلان يبتاع بذلك مدحهم لآثاره واطراءهم بنات أفكاره ، ويتوسل به الى قفل افواههم وصرفهم عن نقده . أما الذين يتصدون للنقد منهم ، فانهم — على قلتهم — قلما يكون نقدهم حبا بالنقد وقياما بحقه بل يكون في الغالب حبا بانتقاص المنتقد واسقاط مكانته لحزازات

في النفوس وغل في الصدور كما شاهدنا ذلك في انتقادات المازني والعقاد وعبد الرحمن شكري وغيرهم من رجال الادب في مصر، وهذا كما لايخفى مما يحط من قيمة النقد ويقلل من شأنه مهما كانت مهارة الناقد وقربه من الصواب .

اما المشتغلون بالصحافة العربيـة فيظهر أنهم لايزالون بعيدين أيضاً عن سلوك سبيل النقد الصحيح كما يشهد كل قراء الصحف والمجلات العربية التي صمت السنتها الا عن انشاء فصول المديح وتحبير آيات التقريظ لكل كتاب يهدى اليها والتي لا تكاد تظفر بأثر من آثار الاقلام الا نظر المادح المطنب والمثني المسهب ، ولو كان ماتنظر فيه لايستحق الا الذم الموجع والهجو المقذع ؛ وقد شذت مجلة المقتطف عن هذه القاعدة في نقد مايهدى اليها الا ان حظ الكتب الفلسفية والعلميـة من النقد الصحيح أوفى عنـدها من حظ كتب الادب لاسباب لاتخفى .

قلنا ان اهم اسباب انحطاط فن النقد في آدابنا هو القصور في فهم حقيقة النقد عند جمهور الادباء ثم خوف القادرين على

النقد وجبنهم ، اما الامر الاول فانه يظهر من كراهة كل أديب لنقد شيء من آثاره مهما كان النقد حكيما بعيـدا من الشخصيات والاغراض وذلك لان معنى النقدالمعروف عند جمهور الادباء هو الحط من كرامة المنتقد وتسفيه آرائه ، ولعل هذا ناشيء من شيوع هذا النوع من الانتقاديين ادبائنا في هذا العصر. ومن قلة الانتقادات الفنية التي لا يقصد بها الا خدمة الفن والقيام بحقه .واما الجبن والخوف فهما افظع أمراضنا الادبيـة بلا شك ومما يوجب الاسف أن نكونا شائعين منتشرين بين القسم الاعظم من ادبائنا وكتابنا،فترى الاديب عندنا حينما يعرض عليـه كتاب ويرى فيـه امورا لا يصح السكوت عنها ، لايجد في نفسه الشجاعة الكافيـة للتنبيه على مافيه ، وبيان خطئه مهما كانت الفائدة التي تعود على الادب من جراء ذلك فاذا ماسألته عن سبب احجامه عن تقع امته ولمته أجابك بقوله بانني أخشى أن أغضب مؤلف الكتاب وليس بيني وبينه مايدعو الى الاساءة اليه بنقد كتابه ويظهر هذا الخلق في بعض ادبائنا بمظهر أسوأ من ذلك ،

فقد يتفق ان يشهد هذا الاديب الجبان في كتاب يعرض عليه بأنه خير ماأخرج للناس ، ويصوغ له اجمل عبارات المدح وابلغ كلمات الثناء — مع انه يعتقد فيه عكس ذلك — عند ما يطلب منه مؤلف الكتاب مثل هذه الشهادة ليزين بها صدر كتابه ، ولو شئت لعددت عشرات من مشاهير ادبائنا الذين ارتكبوا هذا الامر خوفا وجبنا .

كل هذا يزيدنا إيمانا بأن هذا الفرع — النقد — من شجرة الادب العربي لا يزال محتاجا الى عناية ورعاية ليورق ويزهر حتى تكون تلك الشجرة العظيمة كاملة الافنان تامة الاغصان، فمن لنا برجال يسدون هذا الثغر ويرأبون هذا الصدع ؟

اننا في حاجة الى رجال من أئمة الادب واساطينه جبلوا على الشجاعة الادبية وصراحة القول فلا تأخذهم في الحق لومة لائم، وامتلأت نفوسهم بالغيرة على الادب ، وهامت قلوبهم بحب الفن لذاته وحب تعزيز شأنه . وتجردوا عن الغايات والاغراض الشخصية لينقضوا بكل تلك الاسلحة

والمعدات على عشرات الكتب التي يصدرها المؤلفون والمعربون في كل عام فينظروا فيها نظرة الحكيم المخلص ويبينوا لنا ما فيها من خير وشر ويفرقوا بين الصالح منها والطالح والضار والنافع ويقضوا على تلك النباتات الطفيلية التي تظهر في حقل الادب العربي مغتنمة غفلة الغيورين ونوم الحارسين، حتى يعود للادب العربي نضارة عهده الماضي وبهاء شبابه القديم .

القاهرة : ربيع الثانى سنة ١٣٣٨ . يناير (ك ٢) سنة ١٩٢٠

العزوبة والزواج [1]

كنا ولا نزال نسمع فريقا من اخواننا انصار القديم والمحافظين عليه يقول : إن انتشار المدنية الغربية فى ديارنا وتعليم أبنائنا على الطرق والأساليب الاوربية قد أدى إلى انتشار بدعة العزوبة بين شبابنا ، وجرهم الى الاعراض عن الزواج وتركه وتلك بدعة لم تكن تظهر في امتنا لولا تقليد الغرب واقتفاء آثاره بدليل انحصار تلك الفكرة فى المتعلمين دون سواهم وفى المدن والحواضر الكبرى دون البلاد الصغيرة والقرى، فالعزوبة — فى نظر هؤلاء المحافظين — هى مرض من امراض المدنية وعلة من علل التعليم الحديث لم تره البلاد ولم تعرفه فى أيامها الخالية، وهم لا يقصدون بقولهم هذا تقرير حقيقة فقط بل يريدون أن يتوسلوا به الى تشويه سمعة المدنية وتبغيض الناس بالعلم بحجة أن من مضاره ابعاد الناس عن الزواج وهو الامر الذى لا يخفى ما يؤدي اليه من الفساد ومن

(١) نشرت فى احدى الصحف المصرية بتوقيع (عازب)

اضعاف الامة ونقص مواليدها وغير ذلك .

ونحن لا نسلم بان انصار العزوبة عندنا كلهم من المتعلمين المهذبين ، ولا نسلم أيضاً بأن ذلك ناشيء عما تعلموه من العلم أو عما اقتبسوه من مدنية الغرب ، بل نرى أن له أسبابا اخرى بعضها عام يستوي فيه الكل ، وبعضها خاص ينفرد به فريق دون فريق . أما العلم نفسه فانه مازال يحترم الزواج ويعتبره خير طريقة لحفظ النوع ويعده من الامور الضرورية التى لا يستغنى عنها البشر ، وأما المدنية فقد رأيناها لا تثمر فى مغارسها الاصلية مثل تلك الثمرة المرة ، واذا كانت بعض البلاد فى الغرب قد جنحت الى تفضيل العزوبة والاعراض عن الزواج ، فان ذلك ناشيء عن عوامل خاصة ولو كانت العزوبة ثمرة من ثمار المدنية لوجب أن تكون كل الامم المتمدينة سواء فى الاعراض عن الزواج مع انها ليست كذلك.

أما السبب الذى جعل انصار العزوبة والجانحين اليها من المتعلمين كثيرين فهو أن هذا الفريق استطاع بفضل العلم أن يزيح عن عقله حجب الجهل التى كانت تسترعنه

حقائق الاشياء فعرف قيمة الزواج وظهر له قدره ، وأدرك أنه ليس عبارة عن مجرد ارتباط بين الرجل والمرأة لا تراعى فيه الا بعض الامور التافهة، بل هو أمر عظيم القدر له واجبات جليلة وشروط ثقيلة يجب أن تتوفر فى كل من يقدم عليه ويتصدى له ، وقد راعهم اقدام الجهلاء على الزواج وهم لا يملكون ما يرد عنهم عوادى الجوع وليس لديهم من موارد الرزق ما يمكنهم من تربية أبنائهم وتهذيبهم فينشأ نسلهم جاهلا ويبقى محروما من التربية والتهذيب، تفتك فيه الفوضى ويقوده الجهل إما إلى الاجرام والاضرار بالامة وإما الى الكسل والخمول.

رأى المتعلمون ذلك وعلم بعضهم أن ما يتطلبه الزواج من الواجبات غير متوفر لديه وخشوا — اذا هم أقدموا على الزواج قبل استيفاء شروطه وتوفر واجباته فيهم — أن يقعوا فيما يقع فيه الجاهلون فاحجموا عنه ولم يشأوا أن يقدموا عليه لاعتقادهم أن الاضرار التى تلحق بالامة من اعراض بعض ابنائها عن الزواج هى دون الاضرار التى تصيبها من جراء الزواج الناقص الذى لم تتوفر فيه الشروط المطلوبة والذى

يتحف الامة باعق الابناء وأضرهم بها.

هذا هو جماع الاسباب التي تدعو بعض الشبان المتعلمين الى الجنوح للعزوبة والاعراض عن الزواج ، ولا يكاد يوجد سبب من الاسباب التي يحتجون بها لايرجع الى هذا الاصل.

ولست أرى من العدل أن يلام رجل يحجم عن الزواج لعدم وجود امرأة مهذبة تحسن تربية ابنائها ، أو لضيق ذات يده وعجزه عن القيام بنفقات الزواج — خصوصاً فى البلاد التى يتطلب الزواج فيها أموالا جمة — أو عن القيام بنفقات تربية أبنائه وتهذيبهم فان مراعاة مثل هذه الاسباب ضرورى قبل الاقدام على الزواج حتى لاتكون حياة الزوجين عرضة للهموم والاحزان والمحن والمصائب .

وهنالك فريق آخر من انصار العزوبة هم بمعزل عن كل من ذكرنا وذلكم هم الذين يفضلون العزوبة لا لسبب مشروع بل لانها تطلق لهم العنان وتقصيهم عما يسمونه القيود الشرعية وهم قليلون لحسن الحظ وأكثرهم من الذين أتلف الترف أخلاقهم وأطفأ نور الفضيلة من قلوبهم فسلكوا سبل الفساد

وضلوا فى شبابها الا أنه يندر من لا يلجأ من هؤلاء الى الزواج فى أواخر أيامه بعد أن يذوى غصن شبابه وتذبل زهرة نشاطه. ومن الغريب أن أكثر هؤلاء يختمون حياة فسادهم بزواج نساء لا يتفقن معهم فى عمر ولا فى طبع ولا فى خلق فتكون جنايتهم الاخيرة شراً من كل ما أسلفوه ؛ وهؤلاء هم خطر حقيقى على الآداب والاخلاق ، وهم احق الناس بان يلاموا ويؤنبوا.

اما أسراء التقليد وطلاب الشهرة والمغرمون بالشواذ والغرائب — الذين لا يفتأون يذكرون أنهم سائرون على أثر شپنهور والمعرى وغيرهما من النوابغ فى ترك الزواج ويقولون ان الانسانية مدينة للنوابغ من العزاب بكثير من تقدمها. ولهذا يجب أن يبقوا عزابا ليصلوا سلسلة العزاب النابغين — فانهم ممن لا يعتقدون بما يقولون ولا تؤمن قلوبهم بما تقوله السنتهم ويغلب عليهم أن يكونوا ممن يمنعهم عن الزواج مانع آخر يكتمونه لا علاقة له بهذه الدعوى الطويلة العريضة التى ليست مبنية على أساس وطيد. وكأن حب التقليد والغرام الكاذب بمظاهر

النبوغ والعظمة ينسى هؤلاء الناس ان الزواج لا ينافي العظمة ولا يحول دونها وان العظماء والنابغين في المتزوجين أكثر منهم في العزاب ، واكثر هؤلاء المقلدين لا يستمرون طويلا في عزوبتهم ؛ بل يعدلون الى الزواج عند ما تزول الاسباب الحقيقية التي يضطرهم حب كتمانها الى سلوك سبيل تلك الفلسفة العرجاء .

وبالجملة فان العزوبة تخالف سنة الطبيعة ، وقد أثبت العلماء أن ضررها في الاخلاق والصحة عظيم، فالذين يلجأون اليها بلا سبب مشروع يكونون من العصاة المتمردين الخارجين على قوانين الطبيعة ونواميسها ، ولا يفعل ذلك الا من خفت أحلامهم وعجزوا عن معرفة الاصلح لهم .

القاهرة : ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ . يناير (ك٢) سنة ١٩٢٠

تعدد الزوجات[1]

كان العرب قبل الاسلام يبيحون لانفسهم التزوج بما يشاءون من النساء من غير تحديد أو تقييد ، وجاء الاسلام فرخص بزواج واحدة الى أربع ، وجعل لتجاوز الواحدة شروطاً معينة كما هو معلوم ، الا أن تلك الشروط لم تلبث ان تناسى الناس أمرها وألقوها في زوايا الاهمال ، وأصبح تعدد الزوجات عندنا مطلقاً من كل قيد وشرط ، فنجم عن ذلك شؤون وشجون كان لها أثر سيء فى حياتنا المنزلية .

وقد نظر الغربيون الى تعدد الزوجات عندنا نظرهم الى أغرب الأمور وأعجبها ، وحركتهم مخالفته لعاداتهم ومادرجوا عليه الى استقباحه وكراهته ، وقليل منهم من بنى استقباحه على أساس متين ، وتابعهم في ذلك كثير من رجالنا الذين يرون الخير كله في تقليد القوم وترديد صدى مايقولون. وقد رسخ في أذهان السواد الأعظم منا أن تعدد الزوجات أمر ديني وان البحث فيه يمس جوهر الدين فعولوا على أن يصموا

---

(١) نشرت في احدى الصحف المصرية بتوقيع (مسلم حر)

آذانهم من سماع كل قول فيه مهما كان شأن قائله ، مع أنه تعدد الزوجات فى الاسلام ليس هو شيئاً مأموراً به كالصلاة والزكاة ولكنه رخصة مباحة بشروط لا يأمر بها الشارع كما يأمر بالزواج مثلا ولا ينهى عنها كما ينهى عن شرب الخمر، فالذين يتعرضون لتقبيح الاتيان بها لا يضيرون الدين في شيء مهما كانت أغراضهم ومقاصدهم .

ونحن اذا أردنا أن نخوض موضوع تعدد الزوجات فلا نخوضه الا ونحن على يقين من أنه أمر اجتماعي بحت لا يضر الدين استحسانه أو استقباحه ، ولا يضيره الماضى على اتيانه أو التنفير منه ، ورجاؤنا أن يتمشى القراء معنا في تحليله . ويستمعوا لنا بيان فوائده واضراره وذكر محاسنه ومساويه ولهم بعد ذلك الخيرة فى استعمال هذه الرخصة أو تركها وفى التمسك بها أو نبذها.

شرع الزواج لحفظ النوع وليكون كل من الزوجين عونا للآخر على الزمان وشريكا له فى نعيم الحياة و بؤسها، الا أنه قد يتفق أن يختار الرجل زوجا تكون غير أهل لتحقيق الاغراض

المبتغاة من الزواج كأن تكون عقيما لا تصلح لإنتاج النسل فما الذي يعمله الرجل حينذاك ؟ أفلا يكون من العدل أن يسمح له بالتزوج من غيرها مع استبقائها عنده ترتع فى ظل نعمته، خصوصاً بعد أن يصبح تركه اياها ضربة قاضية على حياتها وسعادتها وسببا فى رغبة الناس عنها؟ ثم الا يكون فى ذلك فائدة كبرى للمجتمع ولسعادة الناس؟ إننا لا نشك فى ذلك أبداً، ولكن هل نحن مقتصرون على استعمال هذه الرخصة فى مثل هذه الضرورة وما يشبهها ؟ اللهم لا !

أن الفريق الاعظم من الذين يتزوجون أكثر من واحدة لا يكون لعملهم سبب مشروع يدعو اليه، وكلهم أو أكثرهم لا يرمون الا لاغراض تافهة، وقد تكون مخجلة ايضا من غير أن يفكروا فى عواقب عملهم وفيما يجره على بيوتهم من الخراب.

يتزوج أحدهم اليوم فتاة فى بهجة عمرها وريان شبابها ثم يدركها بعد أعوام ما يدركه هو نفسه من آيات الكبر، فتراه يسرع للتفتيش عن فتاة ثانية لم تذبل بعد زهرة شبابها ليمتع نفسه بضع سنين اخرى، وقد يلحقها بثالثة ورابعة إذا

سمح له يساره وغناه، حتى اذا نما عدد أبنائه وكثر سوادهم أرسلت امهاتهم بينهم عقارب العداوة والبغضاء و بذرت فى نفوسهم بذور الكراهة والخصام فشبوا على الجفاء والتقاطع، فيصبح المنزل حينئذ ميدانا للمنازعات والخصومات ولا يزال الشقاق فيه ينمو ويعظم حتى يصل الى أبعد غاياته وخصوصاً بعد أن يدرك الابَ الموتُ ، فهناك تنفجر براكين الاحقاد وتظهر القلوب مضمراتها ، و يصبح السلام والوئام أبعد من بيض الانوق ، وهذه حقيقة لا يمترى فيها أحد منا ، بعد أن رأينا مئات من الحوادث التى تؤيدها فى البيوت والاسر التى سرى اليها داء تعدد الزواج . ولا أظن أن رجلا أوتى مسكة من عقل وهدى يتردد فى استكراه أمر يؤدى الى عواقب مثل هذه العواقب .

ونحن نكتفى بهذا فى بيان ما يلحقه تعدد الزوجات بالاسر والبيوت من المحن، وفى ظننا أن ذلك كاف لتحذير الناس من الاقدام عليه، ولا نعنى بالناس اولئك الذين عششت فى ادمغتهم الأوهام وصار من المستحيل تحويلهم عن عادة الفوها وان كانت

مضرة مردية، فاننا لا نكتب لهؤلاء ولا نخاطبهم ولكننا نكتب للناشئين الذين لا تزال عقولهم نظيفة نقية ليجتنبوا فى مستقبل أيامهم هذا الامر الذي يفكك أوصال الاسر ويحل عرى وئامها و يوقد بين افرادها نيران العداوة والبغضاء الى الابد، فاذا هم أقلعوا عن اتيانه الا لضرورة وسبب مشروع صانوا حياتهم من الاكدار وحفظوا أسرهم من الدمار، وأراحوا أمتهم من داء عضال ما زال يفتك فيها فتكا ذريعاً منذ مئات من السنين .

القاهرة : صفر سنة ١٣٣٨ . نوفمبر سنة ١٩١٩

الطلاق [1]

جاءت الشريعة الاسلامية ببعض الرخص ليلجأ اليها المسلمون عند الضرورة وليكون لهم فيها مخرج عند الاضطرار وشدة الاحتياج ، ومن تلك الرخص الطلاق .

وقد كان الطلاق معروفا عند العرب فى الجاهلية على نحو ماهو عليه فى الاسلام، وهو ولا شك مما تدعو الضرورة اليه فى بعض الاحايين، يدلنا على ذلك اضطرار الامم المسيحية الاوربية الى تقريره فى قوانينها المدنية «وقد عمت هذه القوانين اوربا وأميركا الآن ويقال بالاجمال أن الامم اللاتينية كفرنسا وإيطاليا وبلجيكا أحلت الطلاق ولكنها ضيقته بعض التضييق، وأن الامم الجرمانية —الا الانكليزية— وسعت دائرته ، وأما الامم السلافية فانها توسطت فيه » . [2]

غير أننا معاشر المسلمين غفلنا عن حكمة تشريع الطلاق ونسينا سر إباحته وعزب عن اذهاننا أنه رخصة من الرخص

---

(١) نشرت فى احدى الصحف المصرية بتوقيع (مسلم حر)
(٢) دائرة معارف وجدى .

المبغوضة التى لا يطرق بابها الا عند الحاجة والاضطرار فقد ا
الرجل منا يرى فسخ عقدة النكاح من اهون الامور وأسهلها
وصار لا يحجم فى ساعة غضب او جنون عن قطع الروابط
الزوجية بكلمة واحدة ، وبالجملة فانه امسى يتصرف بذلك
الحق الموكول اليه تصرفا جائراً حتى انه ليجعله حلفة يحلف
بها ويمينا يقسم به على مادق وما جل ، وهكذا انحط مقام
حكمة من حكم الدين الاسلامى — وهى الطلاق — فسقطت
منزلتها وتدنت بفعل الجهل و التأخر .

وقد ادى توسع جهلة المسلمين وعدم فهمهم حكمة
الطلاق الى نتائج سيئة ، فادخل الوهن والضعف على الرابطة
الزوجية وحط قيمة الحياة البيتية وابتذلها كثيراً ، والناظر الى
حالة الاسر فى البلاد التى خرج فيها الطلاق عن طوره الشرعى
والاجتماعى يدرك لاول وهلة تأثير ذلك فى شؤون الحياة
المنزلية ، وكثيرا مايرى انواعا من الشذوذ فى معاملة المرأة
للرجل ويشعر بفقد الامتزاج الروحى التام بينهما بسبب
وجود شبح الطلاق المرعب فى الاذهان ، وكثيراً ماتمد

المرأة زوجها مورداً ينتظر نضوبه فتعمل للحصول على كل ما يمكن أن تحصل عليه منه حتى تكون رابحة غير خاسرة عند ما يعن له تركها وهجرها هجراً أبدياً، فيكون تعاملهما تعامل زبونين يتبادلان المنافع المادية لا زوجين يؤلف بينهما عقد الزواج، ويجمع بين روحيهما الحب ويتبادلان اقدس العواطف واسماها . أما الرجال فكثيراً ما تراهم يعمدون الى الزواج عندما يعز عليهم أن يرتعوا فى مرعى حرام أو حينما يعرض لهم غرض آخر فيوقعون فى حبائلهم نساء غوافل يلقين اليهم زمام أمورهن فاذا ما قضوا غرضهم أو لاح لهم بارق طمع أو نفع فارقوهن بكلمة واحدة وتركوهن يندبن ما فرطن به ويسخطن على من فتح للرجال أبواب الاحتيال على ربات الحجال .

ولست ادري إلى متى نظل عاجزين عن تلافي هذه النازلة الخطيرة التي تشوه جمال حياتنا البيتية وتحط من مقامها السامي خصوصاً بعد أن بدت لنا اضرارها وأصبحت ظاهرة محسوسة يدركها الاعمى والبصير . أن الطلاق ــ مثل كل أمر آخر ــ له طرفان افراط وتفريط ووسط هو الاعتدال، فلماذا نعمد

الى أضر طرفيه وتترك الوسط الذى هو خير الامور والذي هو أشد انطباقا على روح الدين الحنيف ؟

لقد كثر عدد المصلحين الذين دعوا الى ملافاة هــذا الخطر والرجوع عن خطة الافراط ، ولكن أثر دعوتهم كان ضعيفاً ، ولست أدرى أكان ذلك لجمودنا أم لشدة حبنا لانفسنا وكراهتنا الامتناع عن أمر يعدد ألوان طعامنا وينوع صحاف أكلنا ويفسح لنا سبلا جديدة للملاذ ؟ أن كلا الامرين محتمل جائز الوقوع ، وكل منهما — اذا ثبت — جدير بأن يخجلنا ويضع من قدرنا.

مكة : جمادى الاولى ١٣٣٧ . فبراير (شباط) سنة ١٩١٩

فلسفة الحب

LOVE'S PHILOSOPHY

مترجمة من بواكير شلي

تمتزج الينابيع الفياضةُ بالأنهار
وتختلط الانهار بالبحر المحيط .
ورياح السماء يصاحبها الى الابد
نغمة تقطر رقة ولطفاً
وكل شيءٌ في العالم مقضىٌ عليه
بأن يرافق شيئاً مثله يسكن اليه

* * *

انظرى ، فالجبال تلثم بشفاهها السموات العُلى .
والأمواج يضم بعضها بعضاً .
وليس ثمة زهرة تنال الرضى
اذا ترفعت عن نظيرتها وازدرت بها .

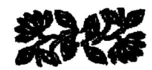
فلسفة الحب

ان شعاع الشمس يعانق البسيطة — كل يوم —

ونور القمر يقبل وجنة المحيط — كل ليلة —

ولكن ما قيمة تلك القبل كلها

اذا انت لم تقبليني ؟



الحرية

LIBERTY

مترجمة من «بوا كير شلي»

الجبال النارية يجاوب بعضها بعضاً
وبقاعها تعج باصداء الثلوج المتساقطة،
والبحور الثائرة يوقظ كل منها أخاه،
وصخور الجليد تهتز وتماوج فوق تاج الشتاء
بينما بوق العاصفة يلعلع في الفضاء

٢

من خلال سحابة فذة يلمع ضوء البرق
فتفيض ألف جزيرة بالأنوار.
وهزة الارض تحول مدينة الى رماد
وترتجف لها مائة بلد وترتج
مع ان صوتها يصدر من تحت سطح الغبراء.

٣

ولكن نظراتك — ايتها الحرية — أحدّ من ضوء البرق
وخطواتك اسرع من هزة الارض .
انت تخرسين هياج البحور
ونجمك يعشي البراكين ويطمس نارها
ونور الشمس بالنسبة لنورك ضئيل خامد خابي

٤

من السهول والبطاح ومن أبخرة الجو المتكاثفة
ينفذ نور الشمس خلال طبقات الضباب
ومن المدينة الى القرية ينفذ شعاع فجركِ ،
ويكون الظالمون والعبيد أمامك كظلال الليل
أمام مقدمة نور النهار .

التقلب

MUTABILITY

مترجمة من بواكير شلى

١

نحن كالسحب التى تحجب صفحة القمر فى منتصف الليل
تنتشر متثاقلة متباطئة ، وتومض وتهتز ،
مخططة رقعة الظلام باشعتها ، الى ان يسرع الليل
ويحيط بها من كل جانب ، فتغيب فى طياته الى الابد

٢

أوكالقيثارات المنسية التى تعطى أوتارها الصامتة
لكل عاصفة متقلبة جوابا مختلفا ،
والتى لا تشبه نغمة من نغماتها الاخرى ،
ولا يماثل أول الحانها آخرها

٣

ننام — وللاحلام قوة تسمم بها النوم —
ونستفيق — وفكرة شاردة تدنس بياض اليوم —

ونشعر ، ونتصور ، ونتمقل ، ونضحك ، أونبكي
ونحزن للمصائب ، أو نطرح همومنا جانبا

٤

كل ذلك سواء! اجعله فرحاً أو حزناً
فباب ارتحاله لايزال مفتوحا .
ان امس الانسان لايمكن أن يكون مثل غده
وليس ثمة شيء يدوم غير (التقلب)

الفاسفة الشرقية [1]

أو

نادى « سورات »

THE COFFEE HOUSE OF SURAT

قصة فلسفية من وضع الكاتب الفرنسى « برناردين دو سان بيير »

« Bernardin De saint_Pierre »

عن الانكليزية

كان فى مدينة «سورات» فى الهند مقهى [2] يلتقى فيه الغرباء السائحون ، ويجتمع فيه أهل الأسفار المتجولون الذين يأتون من مختلف الاقطار ، فيؤلف ذلك النادى بين أجناسهم المختلفة ، واشكالهم المتباينة ، وينيلهم ما يبتغون من سمر وحديث وقص أخبار وحكاية اسفار .

---

(١) نشرت فى احدى الصحف المصرية (٢) فى اليمن يسمون مشرب القهوة (مقاهى) بصيغة الجمع ويحسن استعمال مفردها « مقهى » فيما ارى وسيصقله الاستعمال اذا شاع .

وقد اتفق فى احـد الايام أن رجلا فارسيا من علماء اللاهوت أمّ ذلك النادى ، وكان ذلك الرجل قد صرف أيام حياته فى درس الالهيات ، وفى السعي وراء معرفة كنه الاله المعبود وحقيقته ، فلم يترك بحثا كتبه الاولون فى ذلك الموضوع الاّ قرأه ووعاه ، ولم يدع شعبة من شعب التفكير والاستنتاج الا سلكها ، وما زال هـذا شأنه يفكر ويقرأ ويكتب حتى سُلب عقله وهداه ، وفقد ذكاءه وفطنته فتاه فى شعاب تلك الابحاث وضل فى أوديتها وأوقعته الحيرة فى شباكها وكبله الشك فى قيوده وانتهى به الامر الى انكار وجود الخـالق الحق ، ونمى خبر ضلالته الى ملك فارس فأمر بان ينفى من أرضه ويطرد من مملـكته .وكان لذلك العالم عبد اسود يتبعه حيثما سار فلما ولج مولاه باب النادى واستقر به المقام على متكإ فيـه جلس العبد على حجر خارج الباب تحت أشعه الشمس المحرقة وأخذ يطرد اسراب الذباب التى كانت تحوم حوله وتطن اهازيجها فى اذنيه ، أما العالم فما كاد يستقر به المقام حتى أمر ان يؤتى له بشيء من الافيون فتجرعه وبعد

أن أخذ ذاك المخدر يفعل أفاعيله فى دماغه التفت الى مولاه — وكان يراه من خلال الباب المفتوح — وقال له : قل لى أيها العبد التعس أتعتقد أن الله موجود أم ترى أنه غير موجود ؟ فأجابه العبد بقوله: إنه لاشك موجود . ثم انثنى الى منطقته فاخرج منها صنما من خشب وقال : هـذا هو الالهٓ الذى يحرسنى منذ ولدت ، وليس فى بلادنا من لايعبد الشجرة المقدسة التى من خشبها عمل هذا الالهٓ . وكانت هذه المحاورة بين اللاهوتى ومولاه قد استرعت انتباه ضيوف النادى الآخرين : وقد ادهشهم سؤال العالم وزادهم جواب مولاه اندهاشاً . فانبرى احد الحاضرين وكان برهميا وقال للعبد بعد كلمته التى فاه بها، أيمكن ان تصدق أيها البائس الاحمق ان الله يحمل في منطقة رجل ؟ انه ليس هناك الا إله واحد هو برهما وهو اكبر من العالم باسره لانه خالقه وموجده . ان برهما هو الالهٓ الاحد القدير الذى بنيت باسمه العظيم المعابد على ضفاف نهر الكنغ حيث يعبده الكهنة البرهميون لذين يعرفون دون سواهم الالهٓ الحق ، ولقد تصرمت

عشرات الالوف من السنين وتوالت الحوادث وتتابعت الانقلابات وهؤلاء الكهنة محتفظون بنفوذهم وسلطانهم لان برهما الاله الاحد الحق كلأهم وحماهم . قال البرهمى هذا وهو يظن ان فيه اقناعا لكل أحد ، الاّ ان سمساراً يهوديا من الحضور تصدى للردّ عليه فقال : كلا ، كلا ، ان معبد الاله الحق ليس هو فى الهند ، وما كان الله ليحمى طائفة البراهمة . ان الاله الحق ليس هو إله البراهمة بل هو ربّ ابراهيم واسحق ويعقوب ، وهو لايحمى سوى شعبه المختار شعب اسرائيل . ان شعبنا وحده هو المحبوب عند الله منذ بدء الخليقة ، واذا كنا اليوم مشتتين فى انحاء الارض فما ذلك الا لان الله يريد ان يبلونا ويجربنا ، وقد وعد سبحانه أن يجمع شمل شعبه فى يوم من الايام ويؤلف شتاتهم فى اورشليم فيعود حينذاك الى اسرائيل سابق مجده ، ويصبح مسيطراً على كل الامم والشعوب ويرجع الى بيت المقدس عزه السالف ، ذلك البيت الذى كان اعجوبة الزمن القديم . ثم انخرط اليهودى فى البكاء وأراد بعد برهة ان يقول اكثر من هذا فقاطعه

مبشر ايطالى كان هنـاك فقال : ان كل ما قلته بين البطلان ، وانك لتفترى على الله وتنسب له الجور والظلم لانه يستحيل ان يحب قومك اكثر من حبه سائر الاقوام ، ولو كان حقاً تفضله عليكم ومساعدته لكم قديما ، فانه قد مضى عليكم ثمانية عشر قرنا منذ غاضبتموه وحملتموه على تدمير شعبكم وتفريقكم بدداً في مناكب الارض فلم يجلب لكم ايمانكم ادنى راحة أو هناء ، ذلك الايمان الذى طوته يد الفناء اللهم الا ما بقى منه مبعثرا هنا وهناك . واعلم يا صاح ان الله لا يفضل قوما على قوم ولا أمة على أمة ، بل هو يدعو الجميع — من أراد منهم النجاة والفوز — للالتجاء الى احضان كنيسة روما الكاثوليكية التى لا يمكن ان يجد الخارجون عن حدودها خلاصا.

وكان في الحلقة قسيس بروتستانتى فلم يكد يطرق سمعه هذا القول حتى امتقع لونه والتفت الى المبشر الكاثوليكى وقال له : كيف تجسر ياهذا على ان تقول ان الخلاص مختصر بمذهبكم ؟ ان الناجين هم الذين يعبدون الله كما نصّ الانجيل بروح العزم والاخلاص وكما أمرت كلمة المسيح .

عند ذلك التفت تركي من الموظفين في جمرك سورات
كان جالساً يدخن بقصبته وقال بروح الانفه والترفع لكل من
المسيحيين : أن ايمانكما بدينكما باطل لان الدين المسيحي قد
نسخ منذ أحد عشر قرنا بالدين الصحيح دين محمد . انكما
تعرفان ولاشك أن دين محمد الحق مازال آخذاً في الانتشار
في كلتا القارتين اوربا وأسيا وفي بلاد الصين المتأخرة المظلمة
وقد قلتما منذ قليل ان الله نبذ اليهود واطرحهم واستشهدتما
على بطلان ديانتهم بعدم انتشارها وقلة اتباعها ، فاعترفا إذن
بصحة الدين المحمدي لانه مظفر منصور ولانه منتشر
انتشارا واسعا كبيراً . انه سوف لاينجو أحد سوى تابعي
محمد خاتم الانبياء وسينجو ممن يتبعونه أهل السنة والجماعة
فقط ، أما الشيعة فلا لأن ايمانهم باطل، وهنا اراد اللاهوتي
الفارسي أن يردّ على هذا القول لانه كان شيعياً لولا أن ارتفع
ضجيج الحاضرين واتسعت دائرة منازعتهم وجدالهم ، فقد
كانوا كما قدمنا مختلفي العقائد متبايني الاديان ، ففيهم عدا
من ذكرنا مسيحيون من الحبشة ، ولاميون من تيبت

واسماعيليون وعباد نار وكانوا كلهم يتناقشون في حقيقة الاله الحق وكيف يجب أن يعبد ، وقد اشتد بينهم الجدال وحمى وطيس النضال ، وكان كل واحد منهم يؤكد ان الآله الحق لا يعرف ولم يعبد كما يجب في غير بلاده ومسقط رأسه ، ولم يكن فيهم من لزم السكينة وآثر الصمت غير رجل صيني من اتباع كونفوشيوس كان جالسا جلسة هادئة في زاوية من زوايا النادي يحتسي كؤوس الشاي وهو مصغ لما يقوله الآخرون ورآه التركي صامتا فقال له الك تستطيع أن تثبت ماقلته أيها الصيني الصالح ، انك تحافظ على هدوئك وسكينتك ولكني أعلم انك ستؤيد رأيي اذ هجرت الصمت وطلقته . ان تجاراً من بلادك — أتوا يلتمسون مني العون والمساعدة — أخبروني انه دخل الصين أديان كثيرة الا انكم معاشر الصينيين تعدون دين محمد خيرها جميعاً وتقبلون على اعتناقه بسرور ؛ فتفضل اذن وأيد قولي ، واكشف لنا النقاب عن اعتقادك في الاله الحق وفي نبيه ورسوله . فقال جميع من حضر : نعم ، نعم ، ثم التفوا حول الرجل الصيني وأحاطوا به ،

وقالوا له : دعنا نسمع رأيك فى هذا الامر ، عند ذلك أطبق الرجل الصينى عينيه وفكر برهة ، ثم فتحهما ثانية وأخرج يديه من كميه الواسعين ووضعهما على صدره وقال بصوت هادئ رزين :

سادتى . يخيل الى أن الكبرياء خاصة هى التى تقيم الحواجز والسدود فى سبيل الاتفاق على مسائل الايمان ، واذا تفضلتم وأصغيتم لما أقول فسأقص عليكم حكاية تشرح مسألة الاختلاف فى معرفة الاله الحق وتحتوى على مثال صادق له .

لقد حدثت هذه البلدة من الصين على ظهر سفينة انكليزية طافت العالم وقد اتفق فى اثناء السفر أن فرغ الماء منا فاضطررنا للارساء في سواحل سومطرا الشرقية لنتزود ماء ، فاغتنم نفر منا مختلفوا الاجناس — وكنت فى جملتهم — هذه الفرصة ونزلوا الى اليابسة ، وكان الوقت نصف النهار ، ورأينا على الشاطىء صفاً من أشجار جوز الهند على مقربة من احدى قرى الجزيرة ، فأغرانا الظل وبرد النسيم على اتيانه ، ولم يكد

يستقر بنا المقام هناك حتى أبصرنا رجلا أعمى يقترب منا ـ
وقد علمنا بعد ذلك ان ذلك الرجل فقد باصرتيه من تحديقه
بالشمس وهو يحاول ان يعرف ماهي لاجل أن يقبض على
نورها فلما وقع ذلك له قال لنفسه : ان نور الشمس ليس سائلا لانه
لوكان كذلك لامكن تحويله من إناء الى آخر ولوجب أن يحركه
الهواء كما يحرك الماء ، وليس هو ناراً لانه لوكان كذلك لوجب
أن يطفئه الماء ، وليس هو روحا لانه يرى بالعين ولا مادة لانه
لايمكن نقله وتحريكه، وما دام نور الشمس غير سائل ولا نار
ولا روح ولامادة فهو لاشيء . هذه كانت قياسه فلم يكفه
فقد بصره بل اتبعه بعقله وادراكه — وكان مع ذلك الرجل
الاعمى عند ما رأيناه يقترب منا عبد يقوده فلما وصل به الى
الظل أجلسه فى مكان ثم التقط جوزة كانت ملقاة على الارض
وشرع فى عمل سراج منها ؛ فلف اليافها وجعلها فتيلة ، ثم
استخرج لبها وعصر منه زيتا فى جلدتها وأخذ الفتيله فغمسها
فيه ، وبينما كان العبد عاكفا على عمله تنهد الاعمى وقال له :
أكنت على ضلال عند ما أخبرتك انه لاتوجد شمس ؟ ألا ترى

ما أشد الظلام ؟ ان الناس ما زالوا يقولون ان هناك شمسا موجودة ، فاذا كان حقا ما يقولون فليقولوا لى ما هى تلك الشمس ؛ فقال له عبده ، أنا لا اعرف الشمس ولا يعنينى أن أعرفها ، ولكنى أعلم ما هو النور ، ولقد صنعت لنفسى سراجا أستطيع بواسطته أن أخدمك ، وأن أجده ما أريده فى كوخنا ثم رفع العبد قشرة الجوزة قائلا : هذه شمسى . فضحك لهذا القول رجل اعرج له عكاز ان كان جالسا غير بعيد وقال للاعمى : انك على ما يظهر قد قطعت مراحل حياتك كلها وأنت محروم من نعمة النظر فلم تعرف ماهى الشمس . انى سأخبرك ماهيه انها كرة من نار تطلع كل صباح من جوف البحر وتغيب بين جبال جزيرتنا فى كل مساء ، وكلنا نشاهد ذلك ونراه ، ولو كنت بصيراً لرأيته أيضا . وكان هناك صياد سمك يستمع تلك المحاورة فقال للاعرج : يخيل الى انك لم تخرج من هذه الجزيرة قط ، ولم تجاوز حدودها ، فلو كنت غير اعرج ، ولو كنت خرجت الى ما وراء الجزيرة كما اخرج انا فى قارب الصيد لرأيت ان الشمس لا تغرب بين جبال جزيرتنا ولكنها تطلع

من المحيط في كل صباح ونغرب في البحر كل مساء . ان ما اقوله لك حق لا مرية فيه لانني اراه كل يوم بعيني هاتين .
فقاطعه حينذاك هندي من جماعتنا قائلا : انه ليدهشني ان يقول رجل عاقل مثلك نظير هـذه الترهات ، قل لي بربك كيف يمكن ان تنزل كرة من النار في الماء ولا تنطفىء ؟ ان الشمس ليست كرة من نار ، بل هي الاله (ديفا) الذي يركب أبد الدهر مركبه تدور حول الجبل الذهبي (مرو) وقد يحدث في بعض الاحايين ان الثعبانين الشريرين (مراغو) و (كتو) يهاجمان (ديفا) ويبتلعانه فتظلم الارض ولكن كهنتنا يصلون لاجل تخليص الاله واطلاقه فيخلص . ان الجهال الذين هم على شاكلتك فقط هم الذين يتصورون مثل تصوراتك . وجاء الدور لرئيس مركب مصري كان حاضراً فقال : لا ، انك انت مخطيء ايضاً ، فان الشمس ليست إلهاً ولا تدور حول الهند فقط وحول جبلها الذهبي ، انني طالما ركبت متن البحار في سالف أيامي ، فقد امتطيت غارب البحر الاسود ، وطفت سواحل جزيرة العرب ، واتيت مدغشقر

والفيليبين فرأيت الشمس تضيء الارض كلها الا الهند وحدها، وشاهدتها لا تدور حول جبل بل تطلع من أقصى الشرق وراء جزائر اليابان وتغرب فى أقصى الغرب وراء الجزر البريطانية وهذا هو السبب الذى جعل اليابانيين يسمون بلادهم (نيبون اى مطلع الشمس، انى اعرف هذا حق المعرفة لانى رأيت فى حياتى كثيرا وسمعت اكثر من جدى الذى اختبر البحر ووصل الى اقصى تخومه . وكان المصرى يود ان يستمر فى كلامه لولا ان بحارا انكليزيا من طائفة السفينة قاطعه وقال : انه لا توجد بلاد يعرف أهلها الشيء الكثير عن الشمس وحركتها كما نعرفها . ان الشمس كما يعلم كل واحد فى بلادنا — لا تطلع من مكان ولا تغرب فى مكان بل هى تدور دائما حول الارض وليس ثمت مكان لا يزوره نورها ، ونحن على ثقة من هذا لاننا طفنا العالم فكنا حيثما توجهنا نرى الشمس تبرز للانظار فى النهار وتلوذ بجانب الاستخفاء فى الليل كما هى الحال هنا . ثم اخذ ذلك البحار الانكليزى عصا وشرع يخط على الرمل دوائر واشكالا محاولا ان يصور حركات

الشمس فى السموات ودورانها حول العالم الا انه كان عاجزا عن توضيح ذلك فأشار الى دليل السفينة وقال : ان هذا الرجل هو اكثر منى علما بالامر وهو يستطيع ان يكشف لكم النقاب عن حقيقته . وكان الدليل السيا متوقد الذهن الا انه لاذ باذيال الصمت منذ البداية واصغى الى كل ماقيل فلم ينبس ببنت شفة حتى دعى للقول فقال والكل مصغ اليه : انكم جميعا تغشون انفسكم ويخدع بعضكم بعضا ، ان الشمس لاتدور حول الارض ولكن الارض هى التي تدور حول الشمس وهى فى اثناء دورانها هذا تدور حول نفسها مرة فى كل اربع وعشرين ساعة ، وفى تلك المدة لاترى الشمس فى بلاد اليابان والفيليبين وسومطرا فقط حيث نحن الآن بل ترى ايضا فى افريقية واوربا واميركا وكثير من البلاد الاخرى . ان الشمس لا تشرق على بعض الجبال او على بعض الجزر او على بعض البحور ، حتى ولا على ارض واحدة فقط، بل هى تشرق على السيارات الاخرى كما تشرق على ارضنا ، ولو انكم نظرتم الى السموات فوقكم عوضا عن ان تنظروا الى الارض التى تحت ارجلكم لاستطعتم ان

تعرفوا ذلك كله ، ولما تماديتم فى الاعتقاد بان الشمس تشرق عليكم فقط أو على بلادكم وحدها . هـذا ما قاله ذلك الدليل العاقل الذى ضرب فى أنحاء الارض وا كثر من رصد السموات العلى.

ولما بلغ الصينى تلميذ كونفوشيوس هذا الحد قال : وهكذا مسائل الاعتقاد والايمان . ان الكبرياء والعناد هما سبب الاختلاف بين الناس ، وان ما حصل من اختلاف اولئك القوم الذين قصصنا قصتهم فى فهم حقيقة الشمس هو خير مثال لما وقع من الاختلاف بين الناس فى معرفة الاله الحق . ان كل واحد فى الارض يريد أن يكون له إله خاص به أو على الاقل خاص بوطنه وقومه وكل أمة تريد أن تحصر المعبود الحق في معابدها وهو الذى لا تسعه السماوات والارض قولوا لى بربكم ايستطيع معبد من المعابد أن يضاهى ذلك المعبد المظيم الذى شاده الله ليوحّد الناس كلهم ويجمعهم على عقيدة واحدة ودين واحد ؟

ان كل المعابد البشرية شيدت على مثال هذا المعبد الذى

هو دنيا الله . ان لكل معبد حوض معموديته وسقفه المعقود ومصابيحه وصوره أو دماه ونقوشه وكتب تشريعه وذبائحه ومذابحه ورهبانه ، ولكن في أي معبد من المعابد يوجد حوض المعمودية يشبه البحر المحيط ؟ وسقف معقود كالسماوات ومصابيح كالشمس والقمر والنجوم ؟ وأي رسوم تماثل الاحياء الطافحة قلوبهم بالحب الذين يعاون بعضهم بعضاً ؟ وأين البركات الكنيسية من تلك العطايا الالهية السهلة الفهم التي يمنحها الله لسعادة الانسان ؟ وأين يوجد قانون ناصع جليّ يفهمه كل انسان مثل ذلك القانون المنقوش في قلوب البشر وضمائرهم ؟ وأي ضحية تساوي انكار الذات الذي يفعله الرجال المحبون والنساء المحبّات كل منهما الآخر ؟ وأي مذبح يساوي قلب الرجل الصالح الذي يقبل الله الضحية عليه ؟ ان قربى المرء من الله تكون بقدر سمو اعتقاده به تعالى ، فكلما سما اعتقاد المرء بالله كلما كان أقرب منه وأدنى لتقليد كماله جل شأنه والتأسي برحمته ومحبته للانسان ، لهذا يجب ان يغتنم ذلك الذي يرى نور الشمس بأسره مالئاً ارجاء الكون

عن أن يلوم أو يحتقر الرجل الخرافي الذى يرى في صنمه شعاعاً من ذلك النور نفسه ، بل وأن يمتنع أيضاً حتى [illegible] أن يلوم أو يحتقر الملحد الذى هو أعمى لا يبصر شعاع الشمس مطلقاً

وعند ما أتم الصينيّ تلميذ كونفوشيوس مقاله شمل السكوت كل من في النادي وكان ذلك آخر العهد بينهم وبين المجادلة والمناقشة في المفاضلة بين اديانهم وعقائدهم.

القاهرة : ذوالحجة سنة ١٣٣٧. سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٩.

ماغلاه !

TOO DEAR

من وضع الكاتب الفرنسي « غي دو موباسانت »

Cuy De Maupassant

عن الانكليزية

على سواحل البحر الابيض المتوسط ، بين حدود الجمهورية الفرنسية و المملكة الايتاليسة ، توجد مملكة صغرى يقال لها (مونا كو) ، لاتستطيع ان تفاخر أصغر المدن بعدد سكانها ؛ لانها لاتحوي غير سبعة آلاف نفس ، لايصيب أحدهم فدان واحد من الارض لو قسمت عليهم كل أراضي المملكة ويحكم هذه المملكة الصغرى ملك مستقل يتوج كما يتوج الملوك ، وله قصر وبلاط وحاشية ووزراء . وأسقف وقواد ، وله احتفالات رسمية وأيام يستعرض فيها الجند ، وله مجالس ومحاكم ، وقوانين ونظامات ؛ وجيش يبلغ عدده ستين رجلا .

أما الموارد التي يستمد منها الملك نفقاته ورواتب رجال بلاطه وموظفي حكومته فهي منحصرة في ضرائب مفروضة

على التبغ والمشروبات الروحية، ومع أن سكان المملكة يتعاطون المسكرات ويدخنون كما يفعل غيرهم من سكان الممالك الاخرى فان دخل تلك الضرائب لم يكن كافياً للقيام بنفقات الملك وحاشيته وموظفيه لهذا كان جلالته مضطرا الى أن يجد له موردا جديدا يدفع عنه العوز والاحتياج، وكان ذلك المورد هو بيت قمار يلعب فيه (الروليت) اباح الملك افتتاحه في بلاده والمقامرة فيه ليتمكن من الاحتفاظ بأبهته بواسطة مايعود عليه من الربح منه، ولما كان هـذا البيت هو المحل الوحيد الذى بقى مفتح الابواب في أوروبا كلها فقد غدا قبلة كل المغرمين بالقمار والكعبة التى يحجون اليها. وقد كان بعض أصاغر ملوك الالمـان قد أباحوا افتتاح بيوت من هذا النوع فى بلادهم فكانت سبباً في جر بلاء كبير على الناس والانسانية، ورأى الالمانيون أنه كثيرا ما يطرق الرجل هذه البيوت ليمتحن حظه ويختبر سعده فيقامر بكل مايملك من المال فيخسره، ثم يقترض ويقامر بأموال غيره فيفقدها ايضا فيعتريه قنوط شديد ويدب فى نفسه اليأس فيسارع الى الانتحار، فمنعوا ملوكهم من

ما أعلاه !

اكتساب المال بهذه الطريقة الممقوته .

اما ملك موناكو فلم يكن ثمة من يثنيه من الاستمرار في اباحة المقامرة فى بلاده ، فهو سائر فى سبيله حتى اليوم من غير ان يلقى ممانعة او معارضة ، وكان جلالته لا يتناول الضريبة من المقامرين مباشرة بل يأخذها من مدير المحل وذلك أن المدير يتقاضى من المقامرين ضريبة باهظة فى كل دور يلعبونه سواء اخسروا أم كانوا من الرابحين ، وهو يدفع من تلك الضريبة جزءا كبيرا للملك .

يقول المثل القديم «الامانة لاتبنى قصورا شامخة» وان ملك موناكو ليعلم حق العلم أن هذا المورد الذى يستقى منه رزقه ملوث دنس ، الا انه مضطر والمضطر معذور، إنه يريد أن يعيش فلا حرج عليه اذا استقى من ذلك المورد المشبوه لا سيما وان الاموال الاخرى التى يجنيها من ضرائب التبغ والخمور ليست اصفى من أموال القمار ولا أطهر، انه يريد ان يعيش وان يحكم ويهب الجوائز والاعطيات ويصدر الاحكام

ما اغلاه !

ويقيم المهرجانات والاحتفالات ولا يتسنى له ذلك الا بتناول الاموال من اي طريق جاءت .

***

وقد اتفق منذ بضع سنين مضت ان وقعت جنايه قتل في تلك المملكة الصغرى ، ولم يكن قد سبق لها نظير قط في تلك البلاد التي اعتاد أهلها السكينة والسلام، فاهتزت جوانب المملكة لتلك الحادثة ، واجتمع لهـا القضاة اجتماعا رسمياً ثم بدأوا في النظر فيهـا ، وكان فيهم نواب عموميون ومحلفون ومحامون ،فتنافشوا في القضية بعد درسها . وحكموا أخيرا بأن يقطع رأس القاتل كما يقضى القانون ثم رفع الحكم للملك فقرأه وذيله بهذه الجملة « اذا كان المجرم يجب أن يقتل فليقتل»

غير أن عقبة كؤودا كانت تقف في سبيل تنفيذ هذا الحكم ، انتبه لهـا الوزراء فيما بعد وهي عدم وجود مقصلة للاعدام أو جلاد في المملكة، وبعد المداولة والمذاكرة قرروا أن يكتبوا لحكومة فرنسا يسألونها عمـا يكلفه جلب مقصلة ومأمور من فرنسا الى موناكو ، وبعد أسبوع جاءهم الجواب

وفيه ان ارسال الآلة ومأمورها يكلف ستة عشر الف فرنك وعرض الجواب على الملك فدهش منه وقال: ماهذا؟ ستة عشر الف فرنك! ان الشقي لايساوى هذا المبلغ. الا توجد طريقة أرخص من هذه؟ ان المبلغ المطلوب لو وزع على سكان المملكة لاصاب الواحد منهم أكثر من فرنكين، وذلك لا يرضي الامة، وسيحدث بلا شك شغباً وهياجاً.

ولم يلبث ان دعى مجلس الوزراء للاجتماع والنظر فى المسألة فقرر المجلس ان يرسل كتابا الى دولة ايطاليا مثل الكتاب الذى أرسل لفرنسا قائلا ان حكومة فرنسا جمهورية لاتحترم الملوك كثيراً، ولكن ملك ايطاليا أخ فى الملكية لملك البلاد، وهو خليق بان يرسل المطلوب بثمن أقل وأرخص، فكتب الكتاب وأرسله، وبعد قليل أتى جوابه فاذا فيه: ان ايطاليا ترسل الآلة ومديرها بسرور، غير ان ذلك يكلف من النفقات مبلغ اثنى عشر الف فرنك. وهو مبلغ أقل من الاول الا انه مع ذلك لا يزال باهظا بالنسبة لتلك المملكة الصغرى، لهذا دعى المجلس للالتئام مرة أخرى فاجتمع أعضاؤه وتداولوا

فى ايجاد طريقة أرخص من هـذه ، فقال بعضهم : الا يمكن لاحد من الجنود ان يقوم بذلك العمل ولو بطريقة خشنة ؟ فارتاح لهذه الفكرة الحاضرون وعزموا على دعوة قائد الجند اليهم لاخذ رأيه فى الامر، فلما أتى قالوا له : الا يمكن ان تجد لنا جنديا يقدر ان يقطع رأس انسان ؟ ان الجنود لا يبالون بقتل البشر فى الحروب ، وهم يدربون فى الحقيقة على القتل ويعدون له . فطلب القائد ان يعرض الامر على جنوده ليرى من ذا الذى يقدر منهم على القيام بتلك المهمة ، وذهب اليهم وفاتحهم فى الامر فلم يرض منهم أحد ان يفعل تلك الفعلة ، وقالوا جميعاً : لا ، اننا لا نعرف شيئا مما تدعونا اليه ، وليس ذلك مما تعلمناه .

كيف العمل ؟ فكر الوزراء فى الامر ثم فكروا ، واجتمعوا مرات متعددة ، فقرروا أخيراً استبدال حكم الاعدام بالسجن مدى الحياة ، معتقدين ان هذا أحسن حل لتلك المشكلة ، وانه أرخص كلفة وأقل نفقة ، فضلا عن أنه يمهد للملك السبيل لاظهار رحمته وشفقته ، ولم يتردد الملك

فى قبول هذا القرار والتصديق عليه. الا ان مشكلة أخرى ظهرت بعد ذلك، وهى أنه لم يكن فى المملكة سجن يصلح للحبس مدى الحياة، نعم انه يوجد هناك سجن واحد بسيط كان يحبس فيه أحيانا بعض الناس حبسا مؤقتا، ولكنه لم يكن صالحا للحبس الدائم، وبعد جهد وتعب توفقوا لايجاد محل مناسب وضعوا فيه المجرم الشاب، وعينوا له حارسا يحرسه وليحضر له الطعام من مطبخ القصر.

ومر على ذلك عام كامل، وجاء اليوم الذى يعرض فيه حساب نفقات القصر على الملك، فلما عرض عليه رأى فيه نفقات جديدة — هى نفقات المحافظة على السجين واطعامه — وكانت تربو على (٦٠٠) فرنك. وكان أنكى مافى المسألة ان السجين لا يزال شابا متمتعا بصحة جيدة تدل على أنه سيعيش خمسين عاما أخرى، وهو أمر خطير للغاية، لهذا دعا الملك وزراءه وقال لهم: يجب ان تجدوا طريقة أرخص من هذه لنعامل بها هذا الخبيث، ان فى الطريقة الحاضرة غبنا كبيراً واسرافا اكبر فاوجدوا لنا مخلصا منها. فعقد الوزراء جلسة خاصة

ونظروا فى الامر وفكروا فيه ثم فكروا الى ان قال أحدهم انى أرى أيها السادة ان نعزل الحارس ونستغنى عنه ، فاعترض بعض الوزراء قائلا : ولكن السجين سيفر حينذاك ، فاجابه صاحبه : حسن جداً ، ليفر الى حيث ألقت فنستريح منه ؛ وتم الاتفاق على هذا الرأى ، وعرض على الملك فاقره .

وفى اليوم الثانى نحى الحارس عن عمله، وانتظر القوم ليروا ماذا يحدث، الا ان امالهم فى هرب السجين لم تحقق، فانه بقى فى سجنه الى ان جاء وقت الغداء، فلما تأخر مجىء الطعام عن عادته فتح باب السجن لينظر الحارس فلم يجده، فذهب بنفسه الى مطبخ الملك واخذ منه طعامه ثم عاد الى سجنه واغلق الباب عليه، وفى اليوم الثانى فعل ذلك الفعل ايضاً واستمر الحال على هذا المنوال ولم تبدر من السجين اشارة تدل على عزمه على الفرار! فكيف العمل ؟ وكيف الخلاص من هذه الحال؟ اجتمع الوزراء لينظروا فى الامر ، فقالوا : سنقول له يلزم ان تغادر السجن الى حيث شئت، لاننا لا نريد أن تبقى فيه وبعد قليل ارسل وزير العدلية فاحضره بين يديه وقال له :

لم لاتهرب ياهذا ؟ انه لاحارس يحرسك الآن، فتستطيع أن تذهب الى حيث شئت من غير أن يؤاخذك الملك، فأجاب الرجل : انني أعرف أن الملك لا يؤاخذني ان فررت، ولكني لاأجد مكانا أهرب اليه ، ولا أعتقد انني أستطيع أن أعمل عملا . انكم شوهتم سمعتي وافسدتم أخلاقي بحكمكم المعلوم وجعلتم الناس يولوني ظهورهم حيثما حللت ، وفوق هذا كله فقد عطلتم أشغالي وعاملتموني معاملة سيئة ، ولم يكن ذلك لائقا صدوره منكم. لقدحكمتم عليّ بالموت في اول الامر ، وكان يجب ان تعدموني ولكنكم لم تفعلوا ،فلم اشك من ذلك ثم بعد ذلك حكمتم عليّ بالحبس مدى الحياة وعينتم لى حارسا ليحضر لى الطعام، ولكنكم بعد زمن طردتموه واجبرتموني على أن انقل طعامى بنفسي ، فلم اشك من ذلك ايضا . وها انتم اولاء تريدون مني ان اهرب ، وهو امر لا أرضاه ولا اقبل به فاعملوا ماارتم فانني لن اهرب ابدا .

انعقد المجلس لينظر في الطريقة التي يجب اتباعها بعد ذلك ، فرأى ان خير الطرق للاستراحة من هذا الثقيل هي

ان يعين له راتب سنوي على شريطة أن يرحل من ارض المملكة ولا يسكنها، وعرضوا الامر على الملك قائلين له: انه لا يوجد حل آخر لهذه المعضلة، يجب ان نتخلص منه على اية حال. فوافق جلالته على اعطاء الرجل (٦٠٠) فرنك في كل سنة، على شريطة الا يسكن في اراضي الملك.

هكذا انتهى الامر، فاستلم الرجل ثلث مرتبه السنوي مقدما وغادر تلك البلاد الى مكان لا يبعد عن الحدود ربع ساعة في القطار، فابتاع له قطعة من الارض جعلها بستانا، فهو يعيش فيه الان برخاء؛ وتراه يذهب في اوقات معينة لقبض راتبه وبعد ان يأخذه يمر ببيت القمار، فيلعب بفرنكين او ثلاثة فاما ان يخسرها او يربح مثلها ثم يعود الى مسكنه حيث يعيش بسلام واطمئنان.

وقد كان من حسن حظه انه لم يرتكب جريمته في بلاد لا يبالي اهلها بما يكلفه قطع رؤوس الرجال واعدامهم؛ او بما يلزم لسجنهم مدى العمر من النفقات.

دمشق محرم سنة ١٣٣٩ . سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٢٠

العمل والموت والمرض

أسطورة

من وضع الفيلسوف الروسى تولستوى

مترجمة عن الانكليزية

من جملة الاساطير الشائعة بين هنود اميريكا الجنوبية ان الرب خلق البشر في بدء الامر وأراحهم من عناء العمل فلم يكونوا يشعرون بحاجة الى مساكن ولا الى ملابس ولا الى طعام ، وبقوا كذلك زمناً طويلاً حتى بلغ عددهم ماية ، ولم يكونوا يعرفون ماهى العلل والامراض .

وبعد أن اراد الرب ان يرى كيف يعيش خلقه ، فلما اطلع على حالهم رآهم يقاتل بعضهم بعضا ولا يهتم أحدهم الا بامور نفسه مما يبعدهم كثيراً عن حياة السرور والعيش السعيد خلافا لما كان ينتظر لهم . فقال الرب لنفسه · ان هـذا البلاء أتاهم من التفرق والانقسام ، ومن اقتصار كل واحـد منهم على العناية باموره الخاصـة ، ولاجل ان يغير مجرى حياتهم — التى كانت من غـير عمل — سلط عليهم البرد والجوع ،

ليضطروا الى بناء المساكن ونحت المغاور والكهوف، وليجبروا على جمع اقواتهم من الفواكه والحبوب، وظن ان العمل يوجد فيما بينهم تآلفاً واتحاداً ، وقال فى نفسه : «ان الرجل بمفرده لا يستطيع ان يصنع كل ما يحتاج اليه من الالات والادوات، ولا ان ينقل ما يلزم له من الاخشاب ، ولا ان يبنى البيوت التى تقيه فتك عناصر الطبيعة ، ولا ان يفلح الارض ويجمع غلتها، ويغزل وينسج ويصنع الملابس والاثواب ، فان هذا كله مما يضطره الى الاستعانة بسواه وبذلك يتم لبنى البشر الاتفاق والاتحاد والتكاتف والتعاون من غير ان يشعروا، فتتم سعادتهم وسرورهم».

ومرت ايام واعوام، واحب الرب ان يزور خلقه ليرى حالتهم وكيف يعيشون، ولينظر اسعداء هم فى حياتهم الجديدة ام هم غير ذلك ؟ واتاهم فألفاهم اسوأ حالا مما كانوا فيه ، نعم انهم فعلوا كل ما قدره لهم ، فاشتركوا فى الاعمال، ولكن اشتراكهم كان ناقصا مبتوراً ، فانهم انقسموا الى احزاب وجماعات وحاول كل فريق ان يستأثر بالعمل، وعمل كل حزب

على ءرقلة أعمال غيره، وصرفوا أوقاتهم وقواهم جميعاً في التنافس والتزاحم فساءت أمورهم كلهم ، ورأى الرب ذلك فاراد اصلاحهم من طريق آخر ، وكتب عليهم الموت ، وقضى بالا يعرفوا وقت مماتهم ثم بلغهم ذلك وقال في نفسه . « انهم عندما يعرفون ان الموت يرتقبهم في كل وقت يحافظون على أوقاتهم ويبخلون باعمارهم فلا يصرفونها في غير صالح الاعمال »

ولكن ذلك انقلب الى الضد فانه عندما عاد الرب ليرى حال الناس في طورهم الجديد، لم يجد تغييراً ولا تبديلا، فان سوء الحال بقي ملازما لهم، وذلك لان الاقوياء اغتنموا فرصة خضوع الانسان لناموس الموت في أي وقت وأية حالة ، فاخضعوا لامرتهم الذين هم أضعف منهم بعد ان قتلوا من استنكف منهم ، وتوعدوا من بقي بالموت والهلاك ، وبذلك أصبح الاقوياء وذراريهم من بعدهم يجنون ثمرة كد الضعفاء من غير تعب ولا نصب ، ولكنهم بقوا مع ذلك يشكون البطالة ويتضجرون من حياة الكسل ، بينما الضعفاء يشتغلون أكثر مما يطيقون ، ويتألمون من جراء قلة راحتهم وازدياد أتعابهم

وكانت العـداوة والبغضاء في غضون ذلك يزدادان اتساعا وتعاظما بين هذين الفريقين من الناس ، وهكذا غدت حياة البشر بعيدة عن السعادة ورأى الرب كل هذا فعزم على ان يصلح الامور بآخر وسيلة بقيت لديه ، فارسـل كل أنواع المرض وصنوف العلل بين الناس، وظن أنه متى تعرض الناس على السواء لفتك العلل والادواء فلا بد ان تتحرك عواطف الرحمة فى قلوب الاصحاء فيحنوا على المرضى ويواسوهم ويمدوا لهم يد العون والمساعدة ، حتى يقابلهم المرضى بالمثل متى وقعوا فى قبضة المرض وأصابهم اذاته .

وترك الرب بنى البشر بعد ذلك ولم يرجع اليهم الا بعد زمان طويل ليرى عاقبة الدواء الذى جرعه للناس، فاذا حياتهم أسوأ كثيرا من ذي قبل ، فان الامراض التى أوجدها الرب لتكون واسطه لتأليف القلوب ، كانت سببا للتفرقة والتباعد فبقى الاقوياء يستخدمون الضعفاء فى حال مرضهم ولا يعنون بهم عند ما تحل بهم احدي العلل ، وهكذا كان أولئك المساكين يعملون لمنفعة غيرهم طول حياتهم، ويخدمون سادتهم فى الصحة

وفى المرض ، بينما لايجدون فرصة يداوون فيها أمراضهم ، ولا يلقون عناية ولا عطفاً من أحد . نعم ، انه قد بنيت لهم بيوت خاصة ليقضوا فيها أيام المرض فيحيوا أو يموتوا، وذلك لاجل الا يعكر منظرهم وهم بين أنياب الداء سرور أولئك الاغوياء وغبطتهم ، وكان أولئك المساكين يتركون فى تلك البيوت لعناية أناس مأجورين يمرضونهم من غير عاطفة حنان أو رحمة . وفوق هـذا كله فان الناس عدوا كثيرا من الامراض مما يعدى ، وحملهم خوفهم من العدوى ليس على اجتناب الاختلاط بالمريض فحسب بل على الابتعاد عن كل من يخالط المريض أيضاً.

ورأى الرب هـذه الامور فقال يخاطب نفسه : « اذا كانت هـذه الوسيله ايضا لم تكف لافهام الناس أين تكون السعادة ، فليكن الالم فى المستقبل مرشدهم ومعلمهم»ثم ترك أمور الناس لهم ليتصرفوا فيها كما يشاؤون .

ومرت على البشر عصور كثيرة قبل أن يفهموا كيف يكونون سعداء . وفى الايام الاخيرة فقط بدأ قليلون منهم

العمل والموت والمرض

يدركون أن العمل ليس هو استعباد العاملين، بل هو وظيفة عامة مشتركة يؤلف بين الناس ويجمع شملهم، وشرعوا يفهمون أن الشيء الوحيد الذي يجب أن نقابل به تهديد الموت لنا في كل آن، هو أن نصرف أعمارنا في الاتحاد والالفة والمحبة والسلام، وان العلل والامراض بعيدة عن أن تفرق بين الناس، بل هي على الضد من ذلك توجد لهم فرصة للتحابب والاتحاد .

دمشق : محرم سنة ١٣٣٩ . اكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٢٠

الزهرة (فينوس)

أسطورة

(مترجمة عن كتاب الصور لمارك توين ، وقد كتبت فى زمن شيوع خرافة المارد المتحجر فى الولايات المتحدة الاميريكية)

الفصل الاول

(منظر غرفة مصور فى روما)

— آه ياجورج ، انى أحبك وأهيم بك

— بارك الله فى قلبك الطاهر ياماري ، انا أدرف ذلك وأعرف ايضاً سبب قسوة أبيك وغلظته

— ان نيته طيبة ياجورج ، ولكنه يعد الفن حماقة من الحماقات، والشيء الوحيد الذي يفهمه هو (البقالة) .انه يعتقد أنك تميتنى جوعا اذا تزوجتنى .

— ما أضله عن الصواب ! ان الهدى هدى الله . لماذا يارب لم أكن ممن يسك النقود ، ولمَ لم أكن بدالا عوضا عن أكون نحاتا لا أملك ما أقتات به ؟!

— لا تقنط يا عزيزى جورج، ان كل تحامله سيضمحل ويتلاشى حالما تحصل على خمسين الف ريا ...

— خمسين الف عفريت!.. انني لا أزال مدينا بثمن طعامى!

الفصل الثانى

منظر — مسكن فى روما

— لا فائدة من الكلام ياسيدى العزيز، انه ليس لدىّ ماأقوله فيك، غير أنى لا أستطيع ان أدع ابنتي تتزوج حبا وصناعة وموتا من جوع . انا على يقين من أنه ليس لديك شيء آخر تعرضه .

— نعم انا فقير ياسيدى، وانى أقر بفقرى ولا أنكره، ولكن أليست الشهرة شيئا؟ ان الشريف فلانا من (اركاساس) قال لى ان تمثال امريكا الجديد الذى صنعته هو آية من آيات الصناعة، وأنه على ثقة من ان اسمى سيكون شهيراً خالداً فى يوم من الايام .

— ماشاء الله! ماالذى يعرفه هذا الحمار الاركانساسى من ذلك؟ أن الشهرة لاشيء، يجب ان تنظر الى الثمن الذى أتى

به قزّاعتك الرخامية عند عرضها في السوق . انك عكفت على نحتها مدة ستة شهور متوالية ، وأنت اليوم لا تقدر أن تبيعها بماية ريال . لا لا ياسيدى أرنى خمسين الف ريال فى حوزتك ثم تعال لازوجك ابنتى،والاقانها تتزوج من الشاب (سيمپر) . ان لك مهلة ستة أشهر لتحصل على النقود . عم صباحا يا سيدى .

— واأسفاه ! الويل لى !

الفصل الثالث

منظر — غرفة المصور

— آه ياجون ، ياصـديق صباى ، انى أشقى رجل فى الكون

— انك لأبله

— لم يبق لى شي، أحبه سوى تمثال أمريكا الذى صنعته، ولـكن أنظر اليها تجد ان ملامحها الحجرية الجامدة خالية من عاطفة الميل الحىّ ، انها جميلة جداً ولـكنها بلا قلب !

— انك لجماد !

— آه ياجون

— آه يا(هلاس) ألم تقل لى ان لديك فرصة ستة أشهر لتحصل على النقود ؟

— لاتهزأ بى بربك ياجون ولا تضحك علىّ وانا في بلواى ؛ كيف تسعد الفقير ثروة أو أصدقاء ؟

— حقاً انك أبله وجبان وطفل، لديك ستة أشهر لتحصل على الدراهم وفى طوقك ان تحصل عليها فى خمسة !

— ماذا تقول ؟ كيف يمكن ان توصلنى الى ذلك المبلغ الجسيم ؟

— هل ترضى ان تدع لى هذه القضية والا تتدخل فيها؟ وهل تقبل ان تكلها لى وتعدنى الا تعترض عملامن أعمالى؟

— انا منهوك القوى مشتت الفكر ، ولكنى أقسم لك انى لا أعترضك ولا أعصى لك أمراً . فتناول جون حينئذ المطرقة وعمد الى آنف امريكا فهشمه ، ثم ضرب ضربة ثانية أسقطت أصبعين من أصابعها الى الارض ، واتبعها بثالثة ذهبت بجزء من اذنها ، ورابعة بترت صفاً من اصابع قدمها ،

وخامسة كسرت ساقها اليسرى والقتها على الارض بدداً !

وبعد ذلك لبس جون قبعته وغادر المكان. اما جورج فانه القى على تمثاله المشوه نظرة طويلة من غير ان ينبس ببنت شفة ثم سقط على الارض وعرته هزة لا يستطيع القلم وصفها.

وعاد جون بعد قليل مستصحباً عربة لحمل المصور المكسور القلب والتمثال المكسور الساق ، وجرت العربة بهم جميعا ، وكان جون يصفر فى اثناء الطريق بهدوء وسكينة ؛ ولما وصلت العربة مسكن المصور امره رفيقه بالنزول فامتثل ثم واصلت العربة سيرها حاملة التمثال وجون ومازالت سائرة حتى توارت عن الابصار فى شارع (كيرنياليز) .

الفصل الرابع

[منظر — غرفة مصور]

— ستنتهى الستة أشهر فى الساعة الثانية من هذا اليوم ! واكرباه ! ان عود حياتى يبس وذوى ؛ انى أتمنى لو كنت من سكان القبور . لم اتعش بالامس ، وليس عندى اليوم ما أفطر به ، ولست أجرأ على انتياب المطاعم . والجوع ..

لاتذكره بربك ! . صانع الاحذية يلح فى مطالبتى الحاحا بليغا والخياط لا يفتر عن ملاحقتى ولا يمل ، وصاحب البيت يكثر التردد على . انى لجد بائس . لم أرجون منذ ذلك اليوم المخيف . اما هى ، فانها تبسم لى بعطف عندما نتقابل فى الشارع ولكن اباها الشيخ القاسي يضطرها بكلمة صغيرة على أن تشيح بوجهها عنى وتنظر الى جهة اخرى .. والآن ، من هذا الذى يطرق الباب ؟ من القادم ليعذبنى ؟ ذلك هو النذل الخبيث صانع الاحذية . لابد من السماح له بالدخول . أدخل !

— آه ، خدمت سموكم السعادة ، وكلأتكم أعين السماء ! لقد احضرت حذاء مولاى الجديد آه ، لاتقولوا شيئا عن الثمن فلا حاجة للتعجيل فيه ، وانى لالتمس من مولاى النبيل تشريفى بالاستمرار فى معاملتى ، آه ! استودعكم الله !

— هو أحضر الحذاء بنفسه ثم لايريد ثمنه ! يفارقنى منحنيا باحترام يليق بالملوك ! ويطلب الاستمرار في معاملتى ! هل قامت القيامة وفرغ أجل العالم ! من كل ا... ادخل !!

— الف عفو يامولاى عن هذا التطفل ... سيادتكم !

انى اعددت لكم عدة غرف جميلة فى الطابق الذى تحت هذا
لان هذا المكان الحقير لايليق به ..

— ادخل !!!

— لقد أتيت ياسيدى لابلغكم أن مصرفنا على استعداد
تام لاداء ديونكم والعودة الى سيرته السالفة فى معاملتكم ،
وسنكون من اسعد الناس اذا تفضلتم وحولتم علينا أى ...

— ادخل !!!!

— ولدى العزيز ! انها لك ! وستكون هنا الساعة ! خذها !
تزوجها ! احببها ! كن سعيدا ! فليبارك الله فيكما !....

— ادخل !!!!!

— آه ياعزيزى جورج لقد انقذنا.

— آه ياعزيزتى مارى ، نعم لقد انقذنا ولكنى أقسم لك اننى
لااعرف لمَ وكيف انقذنا !

الفصل الخامس

(منظر — مقهى فى روما)

رجل أميريكى فى رفقة من بنى قومه يقرأ لهم فى العدد

الاسبوعي من جريدة (ايل سلانغ داتفردي روما) ويترجم مايقرأ كما يأتي :

اكتشاف غريب

«منذ زهاء ستة شهور ابتاع السنيور جون سميث - وهو اميركي يسكن روما منذ سنوات - بمبلغ قطعة ارض صغيرة في كامبانيا وراء مقابر اسرة شيبيو من مالكها وهو رجل فقير من اقارب الامير بورغس . وقد ذهب المستر سميث بعد ذلك الى وزير السجل العام وحول ملكية الارض الى نحات اميركي فقير اسمه جورج ارنولد مبينا انه فعل ذلك جزاء لبعض الضرر المادي الذي وقع منه عفوا واظهر عدا عن هذا استعداده لتقديم ترضية اضافية باصلاح القطعة وتحسينها على نفقته الخاصة.

ومنذ اربعة اسابيع مضت اكتشف السنيور سميث اثناء حفريات قام بها في تلك الارض اشهر تمثال قديم اضيف الى خزائن روما الفنية . اما التمثال فله وجه امرأة من اجمل مايكون وابدع، وهو - مع تلوثه ويا للاسف بالتراب والاوساخ المتراكمة مدة تلك العصور الطويلة - لاتشبع الاعين من النظر

الى جماله الفتان . ان انف التمثال وساقه اليسرى من الركبة وأصبعين من أصابع يديه وأصابع قدمه اليمنى ذاهبة. ومع هذا كله فان وجهه البديع فى حالة جيـدة تسلفت الانظار . وقد بأدرت الحكومة الى وضع يدها على التمثال وعينت لجنة فنية مؤلفة من علماء العاديات ورجال الكنيسة ليقدروا ثمنـه ويفرضوا مكافأة لصاحب الارض الذى وجد التمثال فيها وبقى الامر سراً مكتوماً حتى الليلة الماصية، فقد كانت اللجنة تجتمع تحت طى الخفاء، وفى الليلة المنصرمة قررت ان التمثال هو تمثال الزهرة (فينوس) وانه من صنع نحات ماهر ذى مواهب سامية من أهل القرن الثالث قبل المسيح، وعدته أعظم عمل فنى سالم من العيوب عرفه العالم على الاطلاق . وفى منتصف الليل عقد اجتماع نهائى تقرر فيه أن (فينوس) تساوى مبلغا عظيما من المال هو عشرة ملايين فرنك ! ولما كانت قوانين روما وعاداتها المرعية تقضى بأن يكون نصف مايكتشف من الآثار فى كامبانيا ملكا للدولة فان الحكومة ستدفع خمسة ملايين فرنك فقط الى المستر ارنولد ويكون التمثال البديع

بعد ذلك خالصاً لها . وفى هذا النهار ستنقل (فينوس) الى (الكابتيول) لتبقى هناك وعند الظهر ستكون اللجنة فى انتظار المستر ارنولدو ومعها أمر من قداسة البابا الى الخزينة بدفع ذلك المبلغ الضخم ذهبا»

اصوات كثيرة — ياحسن الحظ ! ان هـذا لم يسبق له نظير !

صوت آخر — أيها السادة ، انا أقترح أن نؤلف فورا جمعية امريكية لتشترى الاراضى وتحفر الحفريات ونستخرج منها التماثيل ...

الجميع — رضينا .

الفصل السادس

(منظر — الكابتيول بعد عشر سنين)

عزيزتى مارى ! هـذا هو أشهر تمثال في العالم ، هذه هى (فينوس الكابتيول) الطائرة الذكر التى سمعت عنها شيئاً كثيراً . لقد كان فيها بضعة عيوب صغيرة قام باصلاحها أشهر نحاتى روما فخلدوا ـ باصلاحهم هذه الخلقة السامية ـ أسماءهم

مادامت الارض والسماء . ما أغرب هذا المكان ! لم أكن قبل ان أقف هنا لآخر مرة - قبل عشر سنوات مضت - رجلا مثريا ، بل لم أكن أملك سنتيما واحدا ، مع انى كنت صاحب مواهب تجعل روما مالكة لاسمى ما ابتكره الفن القديم فى الكون بأسره .

— فينوس المعبودة ! فينوس الكابتيول الجليلة ! أى مبلغ تساوى هى ؟ عشرة ملايين فرنك ؟

— نعم انها الآن تساوى ذلك

— آه ياجورج ، ما أبرع جمالها السماوى !

— نعم ، ولكنها الآن ليست شيئا مذكوراً بالنسبة لما كانت عليه قبل ان يحطم جون سميث المبمون ساقها ويعطب أنفها ، آه ياسميث ما أدهاك وأذكاك وأنبلك ! آه يامؤلف كتاب سعادتنا وهنائنا.

استمعى ! هل تعرفين ماذا تقول أنفاسنا فى ترددها ؟ مارى ! ان هذا الطفل يسعل سعالا شديداً، هلا تريدين أن تتعلمى العناية بالاطفال ؟

الخاتمة

ان فينوس لا تزال فى الكابتيول فى روما ، ولا تزال ايضاً أبدع وأجل عمل من اعمال الفن القديم يفتخر به الكون ويزهى . واذا أتيح لك فى يوم من الايام ان تقف أمامه وتغرق فى بحور الذهول والاعجاب به فلا تدع هذه الحقيقة، حقيقة تاريخ أصله السرى، تشوه غبطتك وتعكر سرورك .

ومتى قرأت شيئاً عن (الرجل المتحجر) الهائل الذى استخرج من قرب (سيراكوز) فى ولاية نيويورك أو من مكان آخر، فاحتفظ بالنصيحة حتى اذا جاءك السمسار المحتال الذى دفنه هناك وعرض عليك بيعه لك باى مبلغ جسيم، فلا تشتره منه، بل ارسله للبابا !

دمشق فى ذى القعدة سنة ١٣٣٨ . اغسطس سنة ١٩٢٠

« تمت »

تنبيه :— نرجو القارىء الكريم أن يحذف كلمة (ان) من السطر الثانى فى الصفحة السابعة .

فهرس الكرميات

(تمت)

كتاب جليل فى النقد والأدب يتم في عشرة اجزاء
يقوم بتحريره الاستاذان الكبيران عباس محمود العقاد المحرر
بجريدة الاهرام وابرهيم عبد القادر المازنى المحرر بجريدة
الاخبار . الغرض من وضعه محاربة أساليب الادب القديمة
وبناء طرق حديثة للآداب العصرية وقد انتقدا فى الاول
والثانى احمد شوقى بك وعبد الرحمن شكرى ومصطفى لطفى
المنفلوطى . وأما الثالث فهو فاتحة الامثلة الراقية للآداب التى
يحسن بالادباء أن يسيروا عليها وهى من قلمى صاحبيه
ثمن كل من الأول والثانى ٣ قروش وثمن الثالث ٥ قروش
وأجرة البريد قرش صاغ عن كل جزء والاجزاء كلها تطلب
من مكتبة السعادة بأول شارع درب الجماميز من جهة باب
الخلق بمصر التي تعهدت بطبعها خدمة للادب والادباء

١٥ الاجنحة المتكسرة   الارواح المتمردة ١٠

٢٠ العواصف   عرائس المروج ٨

٥ بلاغة العرب في القرن العشرين

كتب مصطفى لطفي المنفلوطي :—   العبرات ٢٠

٥٠ النظرات جزآن   ماجدولين ٢٥

٢٥ الشاعر   في سبيل التاج ١٠

كتب الاميرة قدرية حسين :—

٣ سوانح الاميرة   خواطر الاميرة ٣

٣ السراب   كيف تكون زوجتي ؟ ٥

روايات تعريب ادارة جريدة الاهرام :—

١٠ انجيلا جزآن   على الحدود ٥

٥ اعترافات ارسين لوبين   هي أو عائشة جزآن ١٠

١٠ عائشة أو عودتها جزآن   الحب الابدي جزآن ١٠

١٠ صاحب الملايين جزآن   ثريا أو شهيدة الوفاء جزآن ١٠

قرش
٣
٨
١٥ ـــــم قرتر للفيلسوف الالماني جوت بقلم الشيخ حسن الزيات
٢٠ يوميات الفيلسوف القانع تعريب الاستاذ أسعد عبد الملك
١٠ الابطال تعريب السباعي طبعة جديدة ، جزآن كبيران
٣ قصة رنيه لشاتو بريان
٢٠ صحف مختارة من الشعر اليوناني بقلم الدكتور طه حسين
١٦ باحثة البادية . بقلم الكاتبة الاجتماعية الانسة مي
٣ زفرات في الحب
٣ الحب . بحث فلسفي اجتماعي انتقادي بقلم عباس حلمي محمد
١٠ جان جاك روسو «حياته وكتبه» للدكتور محمد حسين هيكل
٥ حب ابن ابي ربيعة وشعره للشيخ زكي مبارك
٨ اسرار رسبوتين بقلم أسعد داغر
١٢ نوادر الحرب العظمى جمع يوسف توما البستاني
١٠ رواية أسرار البلشفية رواية بحر الشدائد ١٠
٣٥ الكامل للمبرد طبعة جديدة ٣ أجزاء
٦٥ الكامل للمبرد وبهامشه فصول مختارة للجاحظ
١٥ الفخرى في الآداب السلطانية
٣ عمرية حافظ لشاعر مصر حافظ ابراهيم بك
٥ مجمع الاحياء بحث اجتماعي (بقلم العقاد) العز

فى القرن العشرين

فى الشرق اليوم نهضة أدبية يطمح مثيروها أن تقوم فتجارى أوربا فى آدابها الراقية والذى يقرأ « الديوان » وما أعده من معاول الهدم الماثلة لايسعه الا ان يسائل صاحبيه قائلا أرونا الاساليب الطريفة التى تودون منا أن نجاريها حتى اذا تركنا قديمنا هذا استطعنا ان نمت بسبب الى طرق جديدة فيها حياة اللغة وآدابها المشرقة

أما نحن فقد تولينا سد هذا العجز موقتاً وجمعنا هذه النماذج الراقية من آداب اخواننا السوريين الذين رحلوا الى اميركا فاقاموا فيها سوقاً عامرة بالآداب الحية دونها أسواق الاندلس وغيرها سميناها « بلاغة العرب فى القرن العشرين » فحازت قبول صاحبى « الديوان » لذلك أحببنا نشرها لدى عموم الادباء فجعلنا ثمنها ٥ قروش وأجرة البريد قرشان للخارج وهى تطلب من مكتبة السعادة بأول شارع درب الجماميز تجاه باب الخلق بمصر.

مكتبة السعادة

لصاحبيها

محمود العابودي و محيي الدين رضا

باول شارع درب الجماميز من جهة باب الخلق بمصر

غرضنا من فتح هذه المكتبة : —

(١) طبع الكتب التي تفيد الادب والادباء ويكون لها الشأن العظيم في ترقية اللغة وآدابها

(٢) افادة القراء عما يجد من المؤلفات التي يميلون اليها وارسالها لطالبيها عند صدورها فما على من يريد معاملتنا الا أن يعين لنا أنواع الكتب التي يميل لقراءتها ونحن نقوم له بكل الخدم اللازمة

(٣) والمكتبة تعنى بتجليد الكتب تجليداً متقناً وتعمل الكلشيهات بخطوط جميلة ولها عناية تامة بطبع بطاقات الزيارات وكل ما يلزم المحامين والتجار

(٤) اسعار المكتبة على غاية الاعتدال والتجربة خير برهان

أحسن زيت زيتون طيب تجده بمحل



تاجر وقومسيونجي — بخان الخليلي بمصر